العدد الثاني (رجب ١٤٣٥هـ)
تصدر عن شبكة الفكر للكتب الالكترونية

٢

مجلة الفكر
الإلكترونية

- رسالة صغيرة في العقيدة
- الانحراف بين العلل والبيئة الحاضنة
- ظاهرة المعارين لولاية أمير المؤمنين عليه السلام أسباب وعلاجات
- وفاء العراقيين لأمير المؤمنين عليه السلام

مجلة الفكر الإلكترونية

تصدر من شبكة **الفكر** للكتب الإلكترونية | www.**alfeker**.net
العدد الثاني | رجب 1435 هـ


@alfekerbooks


@alfeker


alfekerbook


alfeker@outlook.com

يمكنكم التواصل والاستفسار ومتابعة جديد
شبكة الفكر للكتب الإلكترونية
عبر تطبيقات التواصل الإجتماعية
twitter / instagram / facebook

• **ملاحظة : المقالات الواردة في المجلة ليس بالضرورة تمثل رأي شبكة الفكر.**

محتويات العدد

المقالة الأولى| رسالة صغيرة في العقائد ٤

التوحيد ٥

العدل ٩

النبوة ١١

الإمامة ١٢

المعاد يوم القيامة ١٤

المقالة الثانية| الانحراف بين العلل والبيئة الحاضنة ١٦

أولاً: العلل الاجتماعية ٢٠

ثانياً: الأسباب السياسية ٢٢

ثالثاً: العوامل الروحية والأخلاقية ٢٣

المقالة الثالثة| ظاهرة المعارين في ولاية أمير المومنين عليه السلام أسباب وعلاجات ٢٧

مناصب الإمام أمير المومنين عليه السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ٢٨

خطورة الاكتفاء بالنظريات ٣١

الإعجاز العلمي فوق الإعجاز المادي ٣٣

العلوم العلوية هو الشاهد الأكبر لرسالة الرسول صلى الله عليه وآله ٣٤

البترية ونظرهم إلى علوم أمير المومنين عليه السلام: ٤٥

بين القراءة الظنية والقراءة العقلية لروايات الحكمة الإلهية ٤٦

المقالة الرابعة| وفاء العراقيين لأمير المؤمنين عليه السلام ٤٩

محنة العراقيين على عهد معاوية بعد وفاة الحسن عليه السلام ٥٠

محنة العراقيين أيام الزبيريين ٥١

محنة العراقيين أيام المروانيين ٥٢

محنة العراقيين أيام العباسيين ٥٤

رسالة صغيرة في العقائد

العلامة المنار

العقائد الاسلامية

• هذه الرسالة في العقائد كتبها العلامة المنار بعد أن طلب منه أحد مراجع النجف الأربعة ومن المهتمين جداً في العقائد والتفسير والأخلاق وما شابه ذلك ولا زال يدرّس العقائد والأخلاق والتفسير والحديث أيام العطل بلا توقف منذ خمسين عاماً لحد هذا اليوم وقد عرضها في شبكة هجر الثقافية طالباً النظر فيها وإبداء الملاحظات عليها وقد اقتطفناها لنشر الفائدة.

تمهيد

أول ما يجب على المسلم هو المعرفة التي هي أساس الإعتقاد والتصديق، وأصول عقيدة المسلم -وهي ما يجب اعتقاده في القلب- وهي خمسة هي: **التوحيد**، ويتفرع منها صفة **العدل** وهذه الصفة توجب **النبوة**؛ لمقتضى العدل بقبح العقاب بلا بيان، والبيان إنما يكون بالنبوة، ويتفرع من النبوة **الإمامة**؛ لأنها تمكين من تطبيق الشريعة وتفصيلها وبيانها، وصفة العدل توجب الجزاء على الفعل، من ثواب وعقاب، وهو ما يسمى بوجوب الإعتقاد **بالمعاد**.

فتكون الأصول الإعتقادية خمسة، هي: التوحيد، والعدل، والنبوة، والإمامة، والمعاد يوم القيامة.

التوحيد

وهو أن نعتقد أن الله واحدٌ في ذاته، وفي صفاته، وفي عبادته. فهو المعبود الفرد، الصمد، الذي لا إله غيره، ولا تعدد لصفاته، ولا معبود سواه.

والله سبحانه وتعالى له صفات: وهي تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

الصفات الثبوتية، وتسمى الكمالية، وصفات الفعل، وتسمى الزائدة؛ لأنها وصف لفعل الله كالخلق، والرزق، والصفات السلبية، أو التنزيهية، كـ(ليس بظالم، لم يلد).

الصفات الثبوتية : هي الحياة، والعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، وهي صفات لا يمكن سلبها عن الله، فلا يمكن أن يتوهم -بأي لحظة- إن الله ليس بحي، أو ليس بعالم، أو ليس بقادر، تنزه الله عما يقوله المفترون.

فالله الحي، عالمٌ بما كان، وما يكون، وما هو كائن، وإن الله غني عن العالمين، وهو على كل شيء قدير، سميع، بصير.

وصفات الأفعال: مثل الخالق، والرازق، والمحيي، والمميت، والمتكلم، والمنتقم، والمعطي، والهادي، وغير ذلك . فهذه صفات إنما تكون وصفاً لفعل الله سبحانه وتعالى في خلقه. وإن الله فعّال لما يريد، ورزّاق، رحيم بيده الخير، وهو على كل شيء قدير، وهو راحمنا، ومحيينا، ومميتنا.

الصفات السلبية التنزيهية: مثل ليس بظالم، ولم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، ولا نقص فيه، ولا عجز فيه، ولا حدود له، ولا شبيه ولا مثل له، وغير ذلك.

وكل ما ننزه الله منه، فهو من الصفات السلبية، ولهذا نقول سبحان الله عما يصفون، أي ننزه الله عن كل وصف، يصفون به لله، لا يليق به كالولد، والعجز، والبخل.

وتوحيده ليس بمعنى الواحد العددي، وإنما بمعنى أنه لا يتصور وجود غيره مكانه ومقامه. فهو احدٌ لا ثاني له، من دون عدد، وقبل الحساب والأعداد، فلا يضاف، ولا يضرب، ولا يقسم، ولا ينقص، ولا يجري عليه أمر من أمور الحساب.

والله سبحانه ليس كمثله شيء، ولا يشبهه شيء، وليس بجسم، ولا صورة، ولا

حد له، ولا زمن، ولا مكان، بل يحيط بكل شيء، لا يُحَسُّ، ولا يُجَسُّ ولا يُمَسُّ، ولا تدركه الحواس، لا يحيط به شيء، ولا يرى بمشاهدة الأبصار، ولا تدركه الأوهام، وإنما تراه القلوب بحقائق الإيمان، والإعتقاد السليم، فلا يرى بالعين، وإنما يرى بالقلب، والعلم.

فقد سئل الإمام الكاظم عليه السلام : هل رأى النبي الله؟ فقال عليه السلام : نعم بقلبه رآه، أما سمعت الله عز وجل يقول: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴿١١﴾﴾ [النجم] أي لم يره بالباصرة، لكن رآه بالفؤاد.

فالرؤية هنا بمعنى العلم. والله تعالى، لا يوصف بكيفٍ، ولا أين، ولا حيث، ولا يوصف بكل ما يعد حداً، أو نقصاً.

والتوحيد، أهم أركان التصديق والإعتقاد بالله، وقد ورد في نهج البلاغة عن مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، قوله:

أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه[1]؛ لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف؛ وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة[2].

فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه[3]، ومن قرنه فقد ثنّاه، ومن ثنّاه فقد جزّأه، ومن جزّأه فقد جهله، ومن جهله فقد أشار إليه، ومن أشار إليه فقد حدّه [4]، ومن حدّه فقد عدّه، ومن قال : فيم؟ فقد ضمّنه، ومن قال : علام؟ فقد أخلى منه.

كائن[5] لا عن حدث، موجود لا عن عدم. مع كل شيء لا بمقارنة، وغير كل شيء لا بمزايلة. فاعل لا بمعنى الحركات والآلة.[6]بصير إذ لا منظور إليه من خلقه، متوحد إذ لا سكن يستأنس به، ولا يستوحش لفقده. أنشأ الخلق إنشاءً، وابتدأه ابتداءً، بلا رويةٍ أجالها، ولا تجربة استفادها، ولا حركة أحدثها، ولا همامة نفس اضطرب فيها.[7]

ووجود الله تبارك وتعالى، وتوحيده، لا يحتاج إلى دليل؛ لأنه من أوضح البديهيات، فهو خالق كل دليل، فكيف يستدل عليه بدليل؟ وقد جرت سيرة العلماء تقريب -دليل وجود الله، ودليل توحيده- لأذهان الناس لغفلتهم عن البداهة، وكذا فعل الله في كتابه الكريم، حيث حاور الكفار، وأقام الأدلة لهم على وجوده وتوحيده. وإلا فإن الفطرة السليمة تستغني عن الدليل على ذلك، ولا يحتاج إلى دليل إلا من تعكّر قلبه بالجهل، والغفلة.

(١). أي أن صفاته (جل وعلى) ليست خارجة عنه، بحيث تكون كياناً مستقلاً ثابتاً له ، كالعلم والقدرة، وإنما هي عين ذاته. فهي بالنسبة لنا منتزعة، ومجرد تحليل عقلي، حيث لا نستطيع أن نصف مفهوم علمه إلا بما نعرف من العلم، وهذا لا يمكن أن ينطبق عليه، حيث أن علمنا أمر ثان مستقل عن وجودنا. وإثبات مثل هذا يتعدد القدماء بما يخرج عن التوحيد الحقيقي، وأمير المؤمنين يريدنا موحدين على الحقيقة.

(٢). والوجدان يشهد إن الموصوف غير صفته، مثل إن اللبن ابيض ، فاللبن غير ابيض ، وابيض ليست هي اللبن ، فإشارة أمير المؤمنين – هنا – إلى التغاير بين الصفة والموصوف. ولا يتوهم انه عليه السلام يشير إلى المغايرة بين ذات الله وصفاته فهذا بحث آخر، ليس هذا موضعه، فإن صفات الله الذاتية، هي عين ذاته؛ لامتناع التركيب عليه جل وعلا. وفي ميزان السيد الطباطبائي ٦:٩٤ : إذا استوى الإنسان على أريكة الإخلاص ، وضمته العناية الإلهية إلى أولياء الله المقربين لاحت على بصيرته لوائح العجز عن القيام بحق المعرفة ، وتوصيفه بما يليق بساحة كبريائه وعظمته فإنه ربما شاهد إن الذي يصفه تعالى به معان مدركة مما بين يديه من الأشياء المصنوعة، وأمور الفها من مشهوداته الممكنة، وهي صور محدودة مقيدة يدفع بعضها بعضا، ولا تقبل الائتلاف والامتزاج، انظر إلى مفاهيم الوجود والعلم والقدرة والحياة والرزق والعزة والغنى وغيرها. والمعاني المحدودة يدفع بعضها بعضا لظهور كون كل مفهوم خلوا عن المفهوم الآخر كمعنى العلم عن معنى القدرة فإنا حين ما نتصور العلم نصرف عن القدرة فلا نجد معناها في معنى العلم، وإذا تصورنا معنى العلم وهو وصف من الأوصاف ننعزل عن معنى الذات وهو الموصوف. فهذه المفاهيم والعلوم والادراكات تقصر عن الانطباق عليه جل شأنه حق الانطباق، وعن حكاية ما هو عليه حق الحكاية، فتمس حاجة المخلص في وصفه ربه إلى أن يعترف بنقص لا علاج له ، وعجز لا جابر دونه، فيعود فينفي ما أثبته، ويتيه في حيرة لا مخلص منها، وهو قوله عليه السلام: وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف أنها غير الصفة.

(٣). أي جعله قريناً أو شبيهاً للشيء.

(٤). جعل له حدا .

(٥). الخالق تبارك وتعالى.

(٦). لا يصدر فعله نتيجة لحركة آلة أو جزء، بل فعله - جل وعلا - إن يقول للشيء كن فيكون.

(٧). شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد : ١ : ٧٩ .

أدلة وجود الله

الدليل الأول: نظام السببية، وعدم التناقض العقليين، وهو يعني استحالة اجتماع النقيضين، واستحالة خلو الممكن من سبب في وجوده، وعدمه .

وهذا الكون الممكن الوجود، قد وجد فعلاً، فلا يوصف بالعدم، ولا يمكن إن يكون بلا سبب، فثبت وجوب وجود السبب، وهو الله الخالق سبحانه وتعالى.

وقد أشار الله في القرآن الكريم إلى اعتماد الأسباب بالنص والتلميح.

وقد سئل مولانا الإمام الصادق عليه السلام، عن الله، فقال عليه السلام : مع إنا لم نجد بناءً من غير بان، ولا أثراً من غير مؤثر، ولا تأليفاً من غير مؤلف[٨].

الدليل الثاني: دليل النظر في عظيم صنع الله تعالى فهذا الكون الفسيح، والمخلوقات الدقيقة، المتناسقة، العظيمة الترتيب، تدل على خالق قدير، عالم، لا يصدر فعله عن عبث، أو جهل، بل هو الله الواحد، الذي لا اختلاف في فعله.

قال تعالى: ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّـهِ ... ﴿٥٥﴾﴾ [الروم].

وقال عز من قائل : ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ [فصلت].

وقال تعالى : ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴿١٧﴾﴾ [الغاشية].

الدليل الثالث: دليل القلب؛ يشعر القلب بوجود الله تبارك وتعالى، حين يدهمه الخطر، وهذا يعني إن العلم بالله علم فطري، لا يمكن الغش فيه، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا اللَّـهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَـٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [يونس].

(٨). كلامه عليه السلام جزء من محاورته للزنادقة، وقد أوردها في البحار : ١٠ : ١٦٣، وهذه العبارة بالذات في صفحة ١٨٢ من الجزء نفسه.

أدلة التوحيد

الدليل الأول: لو كان في الكون إلهين لاحتاج أحدهما الآخر، أو لأزاح أحدهما الآخر، ولو ببعض وجوده، فينتفي أن يكون إلهاً، فضلاً عن كونه متعدداً، والله تبارك وتعالى، هو الغني بكل شيء، قال تعالى : ﴿لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ اللَّـهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾﴾ [الحج].

الدليل الثاني: انتظام الكون؛ لو كان هناك إلهان، لحدث اضطراب في الكون؛ لتعدد الإرادات، وبما إن الكون منتظم، منسجم، فلا يمكن أن يكون هناك إلهان، قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنبياء].

الدليل الثالث: لو كان هناك إله آخر ؛ لأتتنا رسله ؛ ولرأينا سلطانه، ولكن لم يأتنا من غير الله الواحد، ولم نر غير سلطان الله الواحد، قال أمير المؤمنين لولده الحسن :

واعلم يا بني، أنه لو كان لربك شريك لأتتك رسله، ولرأيت آثار ملكه وسلطانه، ولعرفت أفعاله وصفاته، ولكنه إله واحد كما وصف نفسه.[٩]

الدليل الرابع: لو صح فرض إله غير الله، لتسلسل الفرض إلى ما لا نهاية من الآلهة، وهذا مستحيل، فقد سئل مولانا الإمام الصادق عليه السلام: لم لا يجوز أن يكون صانع العالم أكثر من واحد ؟ فقال عليه السلام : ...ثم يلزمك إن ادعيت اثنين فرجة ما بينهما حتى يكونا اثنين، فصارت الفرجة ثالثاً بينهما قديماً معهما، فيلزمك ثلاثة، وإن ادعيت ثلاثة لزمك ما قلنا في الإثنين، حتى تكون بينهم فرجة فيكونوا خمسة، ثم يتناهى في العدد إلى ما لا نهاية له في الكثرة.[١٠]

وهذا مستحيل كما يحكم العقل السليم. لبطلان التسلسل عقلاً، لعدم الإنتهاء لأصل يستند إليه ويتوقف عنده.[١١] وهذا يطلب في المطولات.

(٩). شرح نهج البلاغة لإبن ابي الحديد : ١٧ : ٧٧.

(١٠). الكافي للكليني ١ :٨٠: ونص الحديث فيه: عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن عباس بن عمرو الفقيمي، عن هشام بن الحكم في حديث الزنديق الذي أتى أبا عبد الله عليه السلام وكان من قول أبي عبد الله عليه السلام : لا يخلو قولك: إنهما اثنان من أن يكونا قديمين قويين، أو يكونا ضعيفين، أو يكون أحدهما قويا والآخر ضعيفا، فإن كانا قويين، فلم لا يدفع كل واحد منهما صاحبه، ويتفرد بالتدبير، وإن زعمت أن أحدهما قوي، والآخر ضعيف، ثبت أنه واحد كما نقول، للعجز الظاهر في الثاني، فإن قلت : إنهما اثنان، لم يخل من أن يكونا متفقين من كل جهة، أو مفترقين من كل جهة، فلما رأينا الخلق منتظما، والفلك جاريا، والتدبير واحدا والليل والنهار والشمس والقمر، دل صحة الأمر والتدبير وائتلاف الأمر على أن المدبر واحد، ثم يلزمك إن ادعيت اثنين فرجة ما بينهما، حتى يكونا اثنين فصارت الفرجة ثالثا بينهما قديما معهما، فيلزمك ثلاثة، فإن ادعيت ثلاثة لزمك ما قلت في الاثنين، حتى نكون بينهم فرجة فيكونوا خمسة، ثم يتناهى في العدد إلى ما لا نهاية له في الكثرة . قال هشام : فكان من سؤال الزنديق أن قال : فما الدليل عليه ؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام : وجود الأفاعيل دلت على أن صانعا صنعها، ألا ترى أنك إذا نظرت إلى بناء مشيد مبني، علمت أن له بانيا، وإن كنت لم تر الباني، ولم تشاهده، قال : فما هو ؟ قال : شيء، بخلاف الأشياء، ارجع بقولي إلى إثبات معنى وأنه شيء بحقيقة الشيئية، غير أنه لا جسم، ولا صورة، ولا يحس، ولا يجس، ولا يدرك بالحواس الخمس، لا تدركه الأوهام، ولا تنقصه الدهور، ولا تغيره الأزمان.

(١١). قال الشيخ المفيد في النكت الاعتقادية : ٢١ : فإن قيل: ما الدليل على بطلان التسلسل؟ فالجواب : الدليل، أن السلسلة الحاوية لجميع الممكنات ممكنة، فلا بد لها من مؤثر خارج عنها، والخارج من جميع الممكنات هو واجب الوجود لذاته فتنتهي السلسلة إليه وينقطع التسلسل.

العدل

يجب أن نعتقد أن الله عادل في نفسه، وفي فعله، ويريد من خلقه العدل في تعاملهم معه، ومع أنفسهم، ونظام الكون كله قائم على العدل، ودقة الحساب.

ونظام العدل يقتضي أن لا يعاقب الله من لم يبلغه التكليف، وبما أنه سبحانه كلَّفنا؛ لأن التكليف نفسه حسن، وأن الجزاء إنما على أداء ما على المكلَّف من تكليف، فيقتضي هذا التكليف وصول خبر التكليف، وتفصيله إلى المكلَّف ويقتضي إرسال الرسل، وبما إن الله تبارك وتعالى أرسل الرسل، ووعد بالجزاء، فلا بدّ من يوم يستوفى فيه الجزاء، وهو يوم القيامة، وهذا ما يقتضيه العدل.

من العدل -أيضاً- أن لا يحاسبنا الله على عمل لم نفعله، ولهذا فكل أعمالنا الإختيارية منسوبة إلينا، ونجازى عليها، ولا يمكن أن ننسبها لغيرنا، وذلك خلاف العدل.

وأفعالنا لها نتائج حاصلة، من خير، أو شر أو معصية، أو طاعة : ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى﴿٣٩﴾﴾ [النجم] فعلى فعلنا نجازى في الدنيا والآخرة.

وربما يقع الخطأ والتوهم من الإنسان كما حدث للبعض، ويحدث أحيانا، أن ينسب أفعال الإنسان لله – حاشاه- ولو صح هذا لما كانت هناك جريمة، ولما كان هناك مجرم، فلا الشيطان مخالف، ولا فرعون متكبر، ولا القاتل قاتل، ولا الزاني زان، وهذا كله من إغواء الشيطان، فعلينا أن نؤمن بأن أفعالنا التي مكننا الله منها، ورزقنا الإختيار، والإرادة فيها، صادرة منا، ونحن نحاسب عليها، وهذا أمر وجداني، لا يمكن أن ينكره عاقل، ولهذا، ففي الكافي للكليني ١ : ٨٠ : ونص الحديث فيه : عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن عباس بن عمرو الفقيمي، عن هشام بن الحكم في حديث الزنديق الذي أتى أبا عبد الله عليه السلام، وكان من قول أبي عبد الله عليه السلام : لا يخلو قولك: إنهما اثنان من أن يكونا قديمين قويين، أو يكونا ضعيفين، أو يكون أحدهما قويا والآخر ضعيفا، فإن كانا قويين، فلم لا يدفع كل واحد منهما صاحبه، ويتفرد بالتدبير، وإن زعمت أن أحدهما قوي، والآخر ضعيف، ثبت أنه واحد كما نقول، للعجز الظاهر في الثاني، فإن قلت : إنهما اثنان، لم يخل من أن يكونا متفقين من كل جهة، أو مفترقين من كل جهة، فلما رأينا الخلق منتظما، والفلك جاريا، والتدبير واحدا والليل والنهار والشمس والقمر، دل صحة الأمر والتدبير وائتلاف الأمر على أن المدبر واحد، ثم يلزمك إن

ادعيت إثنين فرجة ما بينهما، حتى يكونا إثنين فصارت الفرجة ثالثاً بينهما قديماً معهما، فيلزمك ثلاثة، فإن إدعيت ثلاثة لزمك ما قلت في الإثنين، حتى نكون بينهم فرجة فيكونوا خمسة، ثم يتناهى في العدد إلى ما لا نهاية له في الكثرة.
قال هشام : فكان من سؤال الزنديق أن قال : فما الدليل عليه؟ فقال أبو عبد الله ﷺ : وجود الأفاعيل دلت على أن صانعا صنعها، ألا ترى أنك إذا نظرت إلى بناء مشيد مبني، علمت أن له بانيا، وإن كنت لم تر الباني، ولم تشاهده، قال : فما هو ؟ قال : شيء، بخلاف الأشياء، ارجع بقولي إلى إثبات معنى وأنه شيء بحقيقة الشيئية، غير أنه لا جسم، ولا صورة، ولا يحس، ولا يجس، ولا يدرك بالحواس الخمس، لا تدركه الأوهام، ولا تنقصه الدهور، ولا تغيره الأزمان.

اتل، والمنتحر، والزاني، ومرتكب المحرمات، إنما أقدموا بإرادتهم على فعل القبيح، وهم -بذلك- يستحقون من الله العقاب.

والرزق من الله نوعان: رزق عام كالمطر، والهواء، والتراب، والمعادن، ورزق خاص كالعقل، والقدرة، والصحة، والتوفيق، وهذا كله من الله، وتحصيل ذلك مرهون بسعي الإنسان نحو تحصيل رزقه الذي منحه الله إياه، فلو أعطاك الله تبارك وتعالى الماء، والأرض، والعقل، والصحة، والتوفيق، ولكنك لم تسع لتحصيل ذلك الرزق، وتكاسلت عنه، فقد تركت رزقك بيدك، ولو سعيت فسيباركك الله بتوفيقه الخاص، خصوصا مع إخلاص النية.

فالرزق من الله، والتحصيل من العبد، وذلك مقتضى العدل، والتفضل الرباني .

ولهذا علينا السعي بالخير، وسننال الخير في الدنيا والآخرة، ولو سعى احدنا بالشر، فسينال الشر في الدنيا والآخرة.

ومن باب التفضل، فإن الله عز وجل رزقنا الشفاعة، والتوسل بأوليائه المخلصين؛ لغفران الذنوب، وإجابة الدعاء: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴿٤٤﴾﴾ [الزمر]. وذلك فضل من الله؛ ليتجاوز عدله، حيث إن العدل يقتضي طرد العاصي المعاند من رحمة الله، والله تفضل علينا بتقريب العاصي بواسطة الشفاعة، والتوسل بمن ارتضى من شفيع.

قال تبارك تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴿٥٧﴾﴾ [الإسراء].

وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴿٢٨﴾﴾ [الأنبياء].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لاَ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِىَ لَهُ قَوْلاً ﴿١٠٩﴾﴾ [طه].

النبوة

يجب أن نعتقد أن الله العادل لم يتركنا سدى، وإنما بعث إلينا الرسل والهداة؛ ليعلمونا شريعة الله، ويجب أن نعتقد بالأنبياء، من لدن آدم إلى نبينا محمد ﷺ.

فان الله أرسل رسله؛ ليدعوهم إلى المعرفة أولاً، والى معرفة الله، وتوحيده، وعبادته، وأرسلهم لبيان شرائعه، وتنظيم أمور المجتمع، وبيان الحق والهدى، وكشف الضلال والردى، ناقلين ذلك عن الله علام الغيوب، وعالم حقائق الأشياء، لا مبتدعين من أنفسهم ما لا معرفة لهم به، ولهذا فالأنبياء حجة الله على عباده؛ لأنهم ينبئون عن مراد الله.

ونبي الإسلام هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم من قريش، وقد بعثه الله، وأقام على البشر الحجة والدليل على بعثه بالمعاجز والدلائل، والتوصية من الأنبياء السابقين بالاسم والصفة.

وكان أهم معاجزه، ما خرق بها العادة وهو القرآن الكريم، الذي أعجز البشر أن يأتوا بمثله، ومن معاجزه طبيعة شريعته الشاملة الكاملة، وعلو العلوم التي يعجز عنها عموم البشر فكيف لرجل عاش في بيئة متخلفة علمياً، وحضارياً أن يأتي بما تعجز عنه الحضارات، وما يسبق به كل العلوم، وهذا دليل على أن معارفه ليست منه، وإنما من خالق الكون والعارف بأسراره.

بالإضافة إلى إخباره بالغيب، وجريان استجابة الأمر والدعاء له، في مواقع معجزة حقاً، مثل استجابته لطلب الكافرين بدعوة الشجرة، واستجابتها، وأمره الآبار الغائرة بالنبع، وتدفق المياه، وطلبه نزول المطر لسقيا المؤمنين، وكثير مثل ذلك، وخرقه لعادة الكون بالسفر من مكة إلى بيت المقدس (الإسراء) وإقامة الأدلة القاطعة على ذلك، وكذلك الصعود إلى السماء (المعراج) وقد جاء بما جاء به الأنبياء السابقون، من معاجز وآيات.

ويجب أن نعتقد بأن نبينا هو الصادق الأمين، كما لقبه قومه في حال كفرهم، بعث الله تبارك وتعالى إليه جبرئيل عليه السلام بالرسالة، وأنعم عليه إعلان النبوة والرسالة إلى كل العالمين، رحمة بعباده، ونصبه إماما قائدا لأمة الإسلام.وأن النبي محمد ﷺ معصوم من الإثم، والزلل منذ ولادته قبل بعثته، وبعد بعثته بفضل الله وقدرته، ولطبع الرسل، وقدرته على اكتساب الفضائل، واجتاب الرذائل .

ولو لم يكن ﷺ كذلك، لما أمرنا الله تعالى بالإقتداء به، ولا يصح منه جل وعلا

أن يأمرنا بالاقتداء بغيره، أو بمن لا ينطوي على مثل هذه الصفات، وإلا لأمكن أن يأمرنا الله بالإقتداء بالظالمين، والفاسدين، وحاشاه ذلك. ويجب أن نعتقد أن النبي محمداً ﷺ شفيع المؤمنين، ويجب توقيره حياً وميتاً، وهو الشاهد على أمة المسلمين حياً وميتاً.

كما يتوجب علينا شكره ﷺ، بالدعاء له ﷺ بالوسيلة والفضيلة وعلو الدرجة، عرفانا منا بفضله، والصلاة عليه وعلى آله، والإعتراف أنه كان ﷺ السبب في إخراجنا من الظلمات إلى النور.

الإمامة

والإعتقاد بالإمامة معناه: وجوب نصب إمام عالم بالشريعة؛ ليبيّن للناس أحكامهم، ويمكّن من تطبيق الشريعة في المجتمع. وهذا واجب بإجماع المسلمين، وقد اختلفوا في نوع الوجوب فقال قسم إنه واجب بالشرع، وقال العلماء إنه واجب عقلاً وشرعاً، حسب مقتضى طبيعة العقول الكاملة، ومعنى الوجوب أنه ينبغي أن يكون ذلك، ولا يحسن خلافه، لا بمعنى التكليف.

فيجب أن نعتقد بأن الله خلق لنا نظاماً اجتماعياً، يؤمّن به بقاء البشر، وهذا النظام يحتاج إلى قائد يقود المجتمع، ويمكّن شريعة الله من التطبيق، والتناصف في المجتمع، وتمكين العدل من التطبيق؛ ليمنع الظلم، والإعتداء على الحقوق، وهذا هو معنى الإمامة عند المسلمين.

وبعهم يوجبها شرعاً فقط، والآخرون يوجبونها عقلاً وشرعاً. فهي واجبة على كل حال.

وقد أسس الله تبارك وتعالى للإمامة تشريعاً، وأوصى رسوله ﷺ أن يوصي الناس بالأئمة بالنص، ثم انه وصف الإمام بعدم الظلم، فقَالَ : ﴿لاَ يَنَالُ عَهْدِى الظَّالِمِينَ﴿١٢٤﴾﴾ [البقرة] فلا بد للإمام أن يكون معصوماً، حتى لا يطاع العاصي، ويكون دين الله سليماً من مخالفة أمر الله، فلا يطاع الله من حيث يعصى.

وقد أوصى رسول الله ﷺ بعلي والحسن والحسين عليهم السلام بالنص عليهم بالإمامة، فقال ﷺ كما في المتواتر : الحسن والحسين إمامان، قاما أو قعدا، وأبوهما خير منهما -أي خير منهما في الإمامة-.

وأوصى بأمير المؤمنين، والأئمة من قريش عليهم السلام، بالإمامة، والخلافة، والوصية، وإمرة المؤمنين، وقيادتهم، وتعليمهم، والرجوع إليهم، كما في حديث الدار، وحديث الطير، وحديث الغدير، وحديث الثقلين، وحديث الأمراء الإثني عشر من قريش، وحديث المنزلة، وحديث المعادلة بالقرآن، وحديث قسيم الجنة والنار، وغيرها من الأحاديث الصحيحة، التي اجمع المسلمون على صحتها، وهي واضحة الدلالة لكل ذي قلب سليم.

كما ورد عن رسول الله ﷺ تسمية الأئمة عليهم السلام فرداً فرداً، كما ورد في الحديث الصحيح، عن الفضل بن شاذان رحمه الله، عن عبد الرحمن بن أبي نجران، عن عاصم بن حميد، عن أبي حمزة الثمالي . وعن الحسن بن محبوب، عن أبي حمزة الثمالي، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، انه قال : قال رسول الله ﷺ :

لما عرج بي إلى السماء، بلغت سدرة المنتهى، ناداني ربي جل جلاله، فقال: يا محمد . فقلت : لبيك لبيك يا رب قال: ما أرسلت رسولاً، فانقضت أيامه، إلا أقام بالأمر بعده وصيّه، فأنا جعلت علي بن أبي طالب، خليفتك، وإمام أمتك، ثم الحسن، ثم الحسين، ثم علي بن الحسين، ثم محمد بن علي، ثم جعفر بن محمد، ثم موسى بن جعفر، ثم علي بن موسى الرضا، ثم محمد بن علي، ثم علي بن محمد، ثم الحسن بن علي، ثم الحجة بن الحسن. يا محمد، ارفع رأسك، فرفعت رأسي، فإذا بأنوار علي والحسن والحسين وتسعة أولاد الحسين والحجة في وسطهم، يتلألأ كأنه كوكب دري . فقال الله تعالى : يا محمد، هؤلاء خلفائي، وحججي في الأرض، وخلفاؤك، وأوصياؤك من بعدك، فطوبى لمن أحبهم، والويل لمن أبغضهم.[١٢]

(١٢). الحديث في: كفاية الأثر : ١١١، الجواهر السنية: ٢٨١، البحار : ٣٦ : ٣٢٣، و ٣٤٨، غاية المرام : ٢ : ٢٧٧ . وبما يشبهه في علل الشرائع : ١ : ٦. وفي كمال الدين: ٢٥٥، وفي فضائل ابن عقدة الكوفي : ١٦٨ و ١٩٠. وفي غير ذلك من المصادر.

المعاد يوم القيامة

يجب أن نعتقد بأننا ملاقوا الله تبارك وتعالى، على ما فعلنا، حسب عدل الله، وأنه يجمعنا يوم الحساب؛ ليجازي كل نفس ما كسبت، فإن عدل الله يقتضي أن لا تضيع أعمالنا سدى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ﴿١٩٥﴾﴾ [آل عمران] فينبغي أن يجازي بالإحسان إحسانا وبالسيئات جزاء المسيئين، فإن غفر وصفح، فذلك من فضله سبحانه وتعالى، وان عاقب فذلك بعدله.

وأن يوم القيامة فيه يوم حساب لكل الخلائق، وبعده إما دخول المطيعين الجنة، أو دخول العاصين المطرودين من رحمة الله إلى نار جنهم.

وان الجنة فيها كل الطيبات، واللذائذ، بما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، وان النار فيها كل أنواع التعذيب، بما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، يستحقونها لعظيم إثمهم مع مالك الكون، والمعبود المتفرد، الذي لا يجوز عصيانه مطلقاً.

عقائد ضرورية

ما تقدم هو عرض للأصول الخمسة التي بني عليها الإيمان، والتي ينقص إيمان المؤمن وإسلام المسلم بنقصان أو عدم الإيمان بواحد منها، وبالإضافة إلى تلك الأصول التي ذكرناها، لابد للمسلم المؤمن من الإعتقاد بضروريات أخرى لا تقل أهمية عن تلك الأصول، وعدم الإعتقاد بها، أو نكران، بعضها يوقع المؤمن في شبهات خطيرة، قد تخرجه من الإيمان، ومنها:

إننا يجب أن نعتقد أن القرآن حق، وأنه كتاب الله، انزله على نبينا محمد ﷺ، وأنه الذي بين ظهرانينا، وما بين الدفتين، وهو حجة الله على عباده. ويجب الأخذ بمحكمه، والوقوف عند متشابهة، وتأويل ما يوجب الوقوع في الممتنع عقلاً وشرعاً مما تشابه منه، كصفات المخلوقين التي وصف الله تبارك وتعالى، بها نفسه.

كما ويجب أن نؤمن بأن الموت حق، والنشور حق، والصراط حق، والحوض يوم القيامة حق، والجنة والنار حق، وأن الظلم باطل، وقبيح لا يصدر من الله قط، ولا يجوز أن يصدر من المخلوق .

وعلينا أن نتحلى بالفضائل التي تمنعنا من مخالفة الحق، ومن الوقوع في هاوية العذاب الأليم .

نسأل الله أن يهدينا لسعادة أنفسنا في الدنيا والآخرة

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

* * * * *

الانحراف بين العلل والبيئة الحاضنة

الشيخ عباس بن نخي

ما زال الواقع الشيعي، سواء في المحافل النخبوية والأوساط العلمية، أو في عموم الساحة الإيمانية، يشهد منذ فترة غير وحيزة، موجات متلاحقة من مقولات الانحراف وتيارات الضلال، ويسجِّل أعداداً متزايدة من ذوي الأهواء وأصحاب البدع وأهل الزيغ والرأي المخترع، ولا تكاد تخمد فتنة، حتى تقوم أخرى وترتفع راية جديدة لمغمور من الغواة يسعى إلى مجده عبر هذه البوابات، ما انتقل بالأمر وأدخله في "الظاهرة".

ويخيَّل إلى المراقب المستهجن والمتابع المستنكر، للوهلة الأول، من فرط غرابة هذه الدعاوى وقبح المقولات وشذوذ أربابها ونشازهم، أنها حالة مستحدثة وغير مسبوقة، وكأنها أول قارورة كُسرت في الإسلام وأول جرَّة تصدَّعت في المذهب، لكن الخبير يعلم أنها حلقة في سلسلة ممتدَّة منذ الصدر الأول، وهي نتاج تلقائي أو إفراز طبيعي، من جانب التي سبقتنا، مواكبة ومكتفة المسيرة فيها بشكل أو آخر، ولعلها لن تتخلَّف حتى في المستقبل وقادم الأيام، إلى قيام القيامة الصغرى واستقرار دولة العدل الإلهي المهدوية.

ويمكن الإرشاد إلى كتاب (المقالات والفرق) لـ«سعد بن عبدالله الأشعري القمي» (المتوفى ٣٠١هـ) من أصحاب «الإمام العسكري» عليه السلام، وأحد أعلام الشيعة وعظماء الطائفة الذي سطر، بل أحصى الحركات الفكرية والعقائدية

التي تشكَّلت في الإسلام وتشعَّبت عن التشيُّع في انشقاقات استحدثت مذاهب وتيارات، وقد سبقه آخرون: منهم «أبو عيسى الوراق محمد بن هارون»(المتوفى ٢٤٥ هـ) صاحب (اختلاف الشيعة) و«الحسن بن موسى النوبختي» (المتوفى بعده ببضع سنوات) صاحب كتاب (فرق الشيعة) ... وغيرهم.

وكذا إلى كتب العقائد والكلام، كـ(كشف المراد) لـ «الخواجة نصير الدين الطوسي» وشرحه (تجريد الاعتقاد) لـ «العلامة الحلي»، وكتاب (أوائل المقالات) لـ«الشيخ المفيد» و(شرح عقائد الصدوق) أو (تصحيح الاعتقاد) له أيضاً، و(شرح الباب الحادي عشر) لـ «الفاضل السيوري»، وغيرها ...

ليطلع القارئ على حقيقة أن فهماً ورأياً ومقولة عقائدية واحدة، كفيلة بإخراج صاحبها عن مذهب وإدخاله في آخر، كأن يرى ويعتقد شيئاً وكيفية ما في صفات الذات الإلهية وصفات الأفعال، وفي اللوح والقلم، والعرش، والقضاء والقدر، وفي الإمامة، والعصمة، والبداء، والرجعة، والروح، والتناسخ، والمعاد، والجبر والتفويض، غلى ما ينتهي بالأحكام الشرعية التي يختص بها المذهب ويعنوَن بها افتراقه عن المذاهب الأخرى، كالقول بالجمع بين الظهرين والعشاءين، ومسح القدمين في الوضوء، والسجود على التربية، والخمس، والمتعة، مروراً بتفسير آيات القرآن، والقول في الأحداث التاريخية نفياً أو إثباتاً ... وما إلى ذلك من مواطن الاختلاف.

وليس المراد هنا شطحة من عالم،أو زلَّة عثر بها علَم، أو كبوة نالت جواداً، بل المنظور هو ما ينشأ من فساد المبنى وبطلان القاعدة واختلال الأصل، الذي تكشف عنه المقولات المنحرفة والآراء الضالة، أو يفضي إليه.

ويحضرني أن جمعاً من طلاب العلم في الحوزة كانوا يتندرون يوماً على مقولة رئيس إحدى البلاد العربية، الذي كان يذهب إلى حذف "قل" من «سورة التوحيد»، وإنها يجب أن تقرأ: الله أحد.. (وكذا الحال في «الكافرون» و«الفلق» و«الناس»)! لأنها خطاب يتوجَّه إلى «رسول الله» ﷺ ، يأمره أن يتلو الكلام التالي، لا أن يكرر لفظة الأمر! ... فتبين أن أحد علمائنا الأعلام يحمل نفس الرأي، وأنه أقام عليه أدلة (وإن لم تبلغ حد الفتوى).

إلا أن هذا الأمر، وغيره، حين يكون حالة شاذة في مجموع سليم متطابق مع المذهب في أصوله وفروعه، وأركانه وثوابته، وما يرسم شكله وصورته ويبلور هويته، يبقى في دائرة الرأي والاجتهاد، ولاسيما في القضايا الهامشية التي لا تطال الصلب والقِوام، فلا يخرج صاحبه عن المذهب ولا يقع في الضلال ولا ينسب إلى الغير أو البدعة. أما ضوابط ذلك وحدوده (التي تُدخِل في التشيع وتُخرج

منه)، وما يسعى بعضهم للعب عليه والمناورة من خلاله، بإظهارها فضفاضة تسع عبثه، ومرنه تسمح بميوعته، بل رخوة غير محدودة، ولا باتة وحماسة، فهذا ينفع في ذاك اللعب وتلك المناورة، أما في عالم الحقائق والوقائع، بعيداً عن اللغط الإعلامي والشبهات التي يعتاش عليها المرضى، فإن للتشيُّع جوهراً وحقيقة وحدوداً ومعالم، ما زال الشيعة يحفظونها كابر عن كابر، وينقلها خلف طاهر عن سلف مبارك، بحرص كيدهم ويفل حدهم، فألجأهم إلى محاولات الاختراق والتوغل في البيت الشيعي، عسى أن تلفح مساعيهم الشيطانية التي عجزت أمام قلاع الدين وسقطت تحت أسوار حصون الإسلام.

إن مساري الهجوم الخارجي والفتنة الداخلية ما انفكا لحظة ولا افترقا ساعة، لقد توغلوا من قبل ودخلوا في النطاق والبطانة الأولى لـ«رسول الله»ﷺ كصحابة وأزواج، وكانوا في دولة «أمير المؤمنين»عليه السلام قضاة وولاة، وفي جيش «الحسن السبط»عليه السلام قادة وأمراء... يثيرون الشبهات ويمارسون الفتن ويرجفون في المدينة، تماماً كما كانت تهاجم «قريش» الثغور، وتشن «أمية» الغارات وتشعل الحروب! وقد مضى الأمر واستمرت السيرة عليه حتى يومنا، فالتكفير يفتي ويَفجُر، والإرهاب يدمِّر ويفجِّر، و«الضال المضل» ومن معه (قبله أو بعده) من الحداثيين يشعلون الفتن ويشغلون الساحة الداخلية ويغرسون خناجرهم في ظهر المذهب ويفتُّون في عضد الدين بالتشكيك والإغواء والإضلال.

لقد وقع الانقسام في الشيعة وتشعَّب المذهب من قبل إلى «كيسانية» و«زيدية» و«واقفية» و«إسماعيلية» أو «خطابية»، و«قرامطة»، و«نزارية» أو «حشاشين»، و«نصيرية» وغيرهم كثير. وقد انقرضت هذه الجماعات واندثرت التيارات، حتى انتهى الأمر في الانشقاقات والانحرافات واستقرَّ اليوم على «زيدية» في «اليمن»، و«دروز» و«علوية» في «بلاد الشام»، و«بهرة» بشقيها «آغاخانية» و«طيبية» في «الهند»، و «بهائية» بعد «بابية» متوزعة في أفراد معدودين بعد شتاتهم من «إيران» ...

هذا في الرؤية المعجميَّة أو القاموسية إن صح التعبير، أما في واقعنا وحالنا المعاش، فلو قيض للبحث والتصنيف أن يواكب الحراك المستجد في عصرنا، ويذهب في تتبع مقولات "الحداثيين" (أو "التنويريين" كما كان يُطلَق عليهم في بدايات ظهورهم)، وآرائهم في مواضيع الإمامة وخصائص الإمام، من العلم والعصمة وحدود الولاية، ثم المعاد والمعجزة والغيب وما إلى ذلك، والأخطر من هذا وذاك، اعتماد طرق استنباط وآلية انتزاع المعارف الدينية والأحكام الشرعية، والاستماتة في ابتداع جديد واختراع محدَث يقود إلى التسيُّب وينتهي إلى

الانحلال، مما يسمح بالانطلاق ويفتح على أبواب شاسعة ورحاب غير متناهية من العقائد والأفكار التي تُخرج تصنيفات جديدة، تدرج أربابها في مذاهب مختلفة ومتنوعة، ولكنها بلا شك، ليست الإمامية الاثني عشرية.

هناك من"الشيعة"اليوم من يجحد وجود «الإمام المهدي» عجل الله فرجه الشريف، ويراه"حالة"من التطلع إلى العدالة الإلهية ودولة الحق الموعودة، وينادي بالانصراف عن التركيز على شخصه وملاحقة حالاته، وترك "الجدل واللغط" في ميلاده، ناهيك بالتعلُّق به والتواصل معه عبر التوسل والزيارة، والسعي واللهفة إلى لقائه!

وهناك من يُسقط وينفي أحاديث ميلاده وغيبته، ويذهب إلى استحالة لقائه ومشاهدته، كون تطبيق شخصه الشريف عند فرض الرؤية فرع معرفة مسبقة، فمن أين الزعم بأن من يُشاهَد في اللقاء هو «المولى» عجل الله فرجه الشريف؟ ولا صورة مُسبقة له عند الرائي أو رسم مودع لديه (اللهم إلا مجرد أوصاف منقولة قابلة للانطباق والتخلف حسب الرؤية!) لذا بطُل عنده زعم المشاهدة وانتفى الجزم بها' لكننا نرى نفس هذا الجاحد المنحرف وهو من دعاة العرفان ويفخر بتدريس الفلسفة لا ينكر، بل لا يشكك في مكاشفات المتصوفة وفتوحات «ابن عربي»، والذي يزعم فيها مشاهدة «النبي» في حضرة الجلال، حين "رآه وجميع الرسل، بين يديه مصطفون، وأمته عليه ملتفون، وملائكة التسخير، من حول عرش مقامه، حافون، والملائكة المولدة من الأعمال، بين يديه صافون'" لم ينكر عليه ذلك ولا سمعنا منه طعناً في أن السالك المرتاض (وهو هنا «ابن عربي» في «الفتوحات»)"وطأ بقدمه المنبر وصعد أعلاه، وحصل في موضع وقوف «النبي»صلى الله عليه وآله ومستواه، لكن بسط له على الدرجة التي هو فيها كُمَّ قميص أبيض، وقف عليه، حتى لا يباشر الموضع الذي باشره صلى الله عليه وآله بقدميه، تنزيهاً له وتشريفاً، وتنبيها للسالك وتعرفاً: أن المقام الذي شاهده صلى الله عليه وآله من ربه، لا يشاهده الورثة إلا من وراء ثوبه، ولولا ذلك لكشف السالك ما كشف، وعرف ما عرف"!

فلا غرو إن قرن مقولته وإفكه هذا، بما ينسف البنية العقائدية للشيعة بدعوى أن جُلها، إن لم يكن كلها، من الإسرائيليات ومما دسَّ وتسرب إلينا من اليهود والنصارى!

وهناك من يريد تغيير معالم المذهب وهدم أركانه، في التبري، وفي الشعائر الحسينية، وفي الأحكام والعبادات التي تميزه عن الآخرين، وهناك من يجاري الوهابية في مقولاتهم حول الشفاعة والتوسل وفهمهم للشرك والقبورية وتعظيم الأولياء.. وكل هؤلاء على اختلاف أشخاصهم وجماعاتهم ومشاريعهم، يجتمعون على إنكار ظلامة الزهراء أو جانب منها، وإن تفاوتوا في ذلك وتراوح الأمر بينهم

كثرة وقلة أو ضيقاً وسعة، إلا أنهم متفقون متواطئون في الإصرار على إنهاء النزاع في أمرها وطي الصفحة وإغلاق القضية!

وليس البحث هنا في هذه المقالة في وارد إثبات فساد هذه الآراء وبطلان تلكم الترهات، ولا في بيان حجج دحضها وأدلة نقضها، فهذا مما قام به علماء متخصصون وأنجزه أعلام أفذاذ، استحثتهم الغيرة على دينهم، وحملتهم المسؤولية الشرعية المناطة بهم في الذود عن عقيدتهم ودفع الزيغ والباطل عن مذهبهم، فنهضوا جزاهم الله خيراً ووقفوا في وجه الضالين المضلين ومنعوهم من تشويه الحقيقة، وتصدوا بشجاعة وفعلوا ما وسعهم لاستنقاذ أيتام «آل محمد» من براثن هؤلاء وأنيابهم، وجاهدوا لإيصال العقائد وإبلاغ الأحكام ونقلها إلى الأجيال القادمة نقية خالصة، فتحقق المطلوب وتمت الحجة على هذا الصعيد.

بل نحن بصدد تحليل المعطيات ودراسة في الأجواء التي سمحت ببروز هذه الظاهرة، وكيف لها أن تستمر وتمضي، ومَن أو ما الذي يقف وراءها' ما يخلص بنا إلى ثلاث قراءات: اجتماعية وسياسية ثم روحية، في خلفيات هذه الأفكار وبواعث نشوء هذه التيارات، فترتسم لنا الصورة بعض الشيء وينجلي عنها الغموض، وتُكشف الحقيقة، حين توضع اليد على مكمن الداء، ما سيعين على تحديد العلاج ووصف الدواء، ووضعه في متناول الإخوة العاملين في الساحة، الذين يقومون بالتصدي لهذه التيارات الضالة وينهضون بمواجهتها مأجورين.

فهذا الغموض والتداخل والضبابية التي تلف حالة القوم ووضعهم، وتراهم ينطلقون منها، تُلبس واقعهم وتغشي حقيقتهم عن كثيرين، لذا ترى بعضاً من جهود المقاومة تهدر أحياناً في جبهات لا تفرغ ولا تفضي إلى أية نتيجة، ولعل بعضها ينفع هؤلاء الضالين وتزيدهم قوة ومنعة!

أولاً: العلل الاجتماعية:

علينا أن نعي حقيقة أن مجتمعاتنا الإسلامية ما زالت تخضع منذ ما يناهز قرنين، بأجيالها المتعاقبة، إلى بذر وغرس ورعاية ما خلق فيها وأوجد بُنية فكرية معوجة لا تحسن، بل تعجز عن إدراك الحقائق، وزرع نمطيَّة مريضة في التفكير العلمي والسلوك التربوي أفسد آلية تلقيها للمعلومة وأبطل قدرتها على التفكير السليم، وجمد عقلها عن الجولان والحراك الصحي.. ما كوَّن وأنشأ ثقافة سقيمة.

فالتعليم العصري في المدارس الحكومية يستمد مواده ومناهجه من الفكر المادي أو قل في أدنى الفروض والحالات من غير الإسلامي، والإسلامي منه يتبع مدارس مخالفة لمذهب «أهل البيت»، الحق الحقيق بالاتباع، والمعين الصافي الذي لا يضل من يرده وينجو من نهل منه.. ولهذا الأمر دوره وآثاره في نشأة أجيال انطبع فيها الفكر الغربي المستمد من عصر النهضة، تحت غطاء مواكبة التطور في الصناعة والعلوم التجريبية والتقنيات والقفزة النوعية التي حققها الغرب في بلاده على ذلك الصعيد. ولم تسلم المدارس الدينية العريقة كـ«الأزهر» و«الزيتونة» من هذا التأثر، فتحولت إلى جامعات عصرية، لا في تنظيمها فحسب، بل حتى في تخصصاتها ومناهجها أيضاً.

ويلحق بالمدارس روافد التربية والتعليم الأخرى، من حركة الكتابة والطباعة والنشر، والنشاط الإعلامي المسموع والمرئي، وقنوات الثقافة الأخرى، كالفن من موسيقى ومسرح ومسلسلات تلفزيونية وأفلام سينمائية.. كل هذه تضافرت وتعاضدت على خلق شخصية لهَوية عابثة، كسولة بطَّالة، ميالة إلى اليُسر والسهولة، تنزع إلى الرفاه والاستهلاك، وتركن إلى الاتكالية، مقابل الجد والعمل والاجتهاد والإنتاج، وتعيش في العموم فضاءً بعيداً عن التخصص والإبداع. والطامة أن هذه الحركة كانت وما زالت تتدرع باسم العقل وتتدثر برداء التنوير، وهي غارقة، بل أغرقت معها الأمة في الجهل والظلمة!

لم ينج من هذا السيل الجارف الذي طمر العالم الإسلامي من أقصاه إلى أدناه وغمره بأمواج "اليونسكو" والفكر المادي الغربي.. إلا جزراً متعالية في سطحها، عصيَّة في منسوبها، أو قل سفن نجاة بقيت تعوم بحمولتها من التراث المعصوم وأدوات المعرفة الإلهية، أي حوزاتنا العلمية، وعلى رأسها «حوزة النجف الأشرف» بقيت حوزاتنا حصينة منيعة.. ومن بذرة الحق هذه، وبؤرة الحقيقة المتبقية، نما الإسلام وأعيد بناؤه وأحيي من جديد، وبدأ مدُّه يغلب إفكهم ويفل حدهم ويبدد شملهم، وأخذت أنواره تشع وتقشع الظلام الذي خيم على الأمة طويلاً، وأرادوه أبداً.

فلجأوا إلى فكرة وحيلة"الحصان الخشبي"الذي أسقط «الرومان» من خلاله تلك القلعة الحصينة: «طروادة !»

كان لا بد لهم من اختراق البيت الشيعي، والتوغل فيه، ثم العمل على تداعي وإسقاط القلعة من داخلها، فيهوي الحصن المنيع العصيُّ، وتفتح أبوابه وتشرع أمامهم مرحِّبة.. وكانت الأحزاب الإسلامية والتنظيمات وسيلتهم وأداتهم الأولى، أحزاب بقيادات مجهولة خفية، تحت غطاء السرية والضرورة الأمنية، وأتباع

منقادون في إمَّعية، وفكر لقيط هجين، باسم التقدم والرقي ومواكبة العصر.. توجه النشأ حيث يشاؤون، وتنتهي بهم إلى ما يريدون!

ثم في مرحلة لاحقة ومتأخرة، صرنا نعيشها اليوم، ها نحن نراهم يتقدمون إلى المرجعية ليخترقوها بالأدعياء ويسقطوها بنماذج ساقطة، كلها زيف، لا تحمل من المقومات الحقيقية شيئاً، لا من علم ولا عدالة.

إن هذه الثقافة الفاسدة، والذهنية المريضة، والعقلية المتخلِّفة، هي البيئة الحاضنة للتيارات والحركات والشخصيات والأفكار المنحرفة والإضلالية التي تعصف بساحاتنا.

ثانياً: الأسباب السياسية:

من السذاجة بمكان أن يتصور أحد العفوية في هذا الحراك الإضلالي الكبير، ويفرض التلقائية أو البراءة في هذه الاطروحات الشيطانية المتلاحقة والمتعاقبة على ساحتنا والتي ملؤها الزيف والتحريف، فماذا عسى أن يكون في أدواتها ووسائلها غير الحيلة والخداع، ولا سيما أنها تتحرك بهذا التنظيم والتنسيق، توزع الأدوار وتنتقي المحاور والجبهات، ما يضمن لها أن تتقدم باطراد، فتنسحب تكتيكياً هنا، وتتقدم وتقتحم هناك، ترصد ردود الأفعال، فتنحني للعواصف إن تصاعدت في وجهها، لتقوم وتنبعث من جديد إذا هدأت وسكنت..إن جُل أو كل الحركات والشخصيات التي تمارس الضلال وتنهض بمقولاته، وتراها تظهر كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء، وتنشق عنها الأرض بين فترة وأخرى كالفطر، وتطل برؤوسها وكأنها تنهض وتقوم من ركام تحسبه أوضاراً لا تليق بها إلا المحارق، فإذا بهم يعاودون تدويرها ويصدرونها بصيَغ وأشكال جديدة استحالت فيها الصورة والمادة دون الفكر والجوهر والهدف والرسالة..كلها تتبع قيادة واحدة، وتستمد المال والغطاء الإعلامي والسياسي، وتؤمِّن احتياجاتها من جهة وقيادة مركزية واحدة، لست أبالغ إن قلت: غرفة عمليات ضخمة مجهَّزة، تمدها بكل مستلزماتها وتوفر لها الدعم والإسناد! إن خط وتيار الحداثة ملَّة واحدة، وإن ظهر بأشكال مختلفة وصنوف متعددة وأدوار متفاوتة، بل وإن كانت قلوبهم شتى، ورأيت المنافسة بينهم محتدمة!.. فمرجع مزيف ينافس آخر مثله، وحزب منحرف ينازع شقيقاً له في الفكر والعقيدة والهدف، ولربما بلغ النزاع الصراع وانتهت المنافسة إلى قتال! فجلُّ هذه النزاعات معارك وهمية، وجبهات مصطنعة، ينادي القائد الأعلى عليها من هناك، وهو متربع على عرشه، كما كان

«هارون الرشيد» يخاطب الغمامة حين انزاح ظلها عنه:"أمطري أينما شئت، فإليَّ خراجك"!

إنها تريدنا أن نغفل عن الحقيقة الكبرى التي تقف خلفهم جميعاً، لذا لا تعجب من مرجعية مزيفة من صنيعة مدد ودعم القائد الأعلى، تناهض فكرة له ومشروعاً بإحياء مراقد أولاد الأئمة (إمام زاده) مثلاً، فيسخر ويستهزئ من هذه المقامات، بينما ربه وسيده هو من يقف خلفها ويؤيد رواجها! ولا تستغرب إن رأيت مرجعاً مزيفاً ينادي بالشعائر الحسينية ويستميت لإحياء الجزع والإدماء، حتى صار التطبير شعاره ودثاره، يلتقي مع من يؤمن بإسلام بلا مذاهب، فيحارب الشعائر الحسينية لأنها تفصل الشيعة عن الأمة، ويخص الجزع بالحظر والتحريم.. تراهما يلتقيان ويتوافقان على «سيد قطب» مثلاً، وهو جذر الضلال ومنبع الانحراف!

إن المتتبع الراصد للحراك الشيطاني الذي يحارب الحوزة ويناهض المرجعية الأصيلة، ويستميت في النيل منها والطعن فيها وإسقاطها عن أعين الناس، ويريد كسر شوكتها وتضعيفها بأي نحو كان.. يجد إن في جميع مفرداته وعناصره وأعضائه، يلتقون وينتهون في موقع واحد، وإن ظهر النزاع بينهم وتراءى للبعض الصراع والمنافسة. بل هم جميعاً يخضعون لإدارة وتنظيم واحد، وإن استثنيت تياراً يستقل في تنظيمه، فإنك ستراه لا يملك إلا أن يلتقي في نهجه وأغراضه وأهدافه، وأولاها ضرب الحوزة وتشويه المرجعية.

هذه حقيقة غاية في الأهمية والخطورة علينا أن نعيها، فنعرف من أين تأتينا الضربة، وبالتالي كيف نواجهها وننظم دفاعاتنا لصدِّها ودفعها، وأن لا ننساق إلى المخطط الذي يهدفون ويرمون ويستدرجوننا إليه، فننشغل به عن المحرك والمدبر الأصلي. بل نتحرك بوعي وبصيرة تجهض استغفالهم وتتفوق على دهائهم. وإلا رأيت طاقات المقاومة تصرف وتهدر عن العدو الأصلي، والفعل المؤثر يتهاوى ويتبدد لما يبلغ موقعه.

ثالثاً: العوامل الروحية والأخلاقية:

إن الأمر في إطلاق هذه المقولات الإضلالية، سواء مع فرضية التآمر أو دونها، يثير الاستغراب والعجب، ويدعو إلى التأمل والتدبر! إذ كيف لامرئ يأخذ بالأسباب ويخطط لتتسق حركته مع سبل النجاح ومجاري الإنتاج في جميع أعماله ومساعيه، ويكبُّ على تحقيق أهدافه حتى يبيع أعز ما يملك ويفرط بدينه..

كيف له أن يذهب في الشطط والخطأ إلى هذي الحدود؟ من الذي أوحى إليه وأغواه حتى حسب في نفسه قدرة خارقة وقوة استثنائية ومكنة تؤهله وتسمح له، ثم تدفعه إلى المجاهرة بتبني هذه الآراء وطرحها علناً على الملأ؟! والحال أن أي عاقل يدرك أن مسَّ وهتك القيم والمقدسات، والسعي أو العمل على نسف المذهب، وإطلاق آراء تقوِّض الدين، له تبعات مؤلمة وأثمان باهضة (عليه أن يدفعها هنا قبل الآخرة)، كيف لا يحسب أحدهم لسقوطه، وجلده بسياط المواجهات التي ستنبري له، وسحقه بأقدام الساعين في نصرة الدين والمذهب؟ ولا سيما أن الأمر ليس من شجاعة وفروسية، إذ إن أحدهم ينخلع

فؤاده وتتراجف أعضاؤه ويبلع ريقه ويكف لسانه ويبادر للاستدراك والتصحيح إن طال كلامه ومس الحاكم ولو من بعيد (فيستثني إيران)! ولا نجد في أرباب المقولات الإضلالية نوعاً إلا الرعش الرعديد، والخرع الجبان.

ما هو السر إذاً؟ كيف تغشى أبصارهم عن الوادي السحيق الذي يلقون أنفسهم فيه؟ فيقدمون على الانتحار، وهم طلاب دنيا؟ إنها حالة نفسية معقدة وروحية في منتهى الغرابة' إنها ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [الأنعام]، وبعد سُنة الاستدراج الإلهي التي تقود إلى فضحهم وهلاكهم، هي بطانة السوء التي تملي لهم، أو تصمت ولا تنصح فتثني وتردع. تماماً كما ترى أخطاء السياسيين فتتساءل: أليس لديهم مستشارين ينبهونهم ويمنعونهم عن هذا القرار البين في فساده والمهلك لملكه؟ فقرار صدام على سبيل المثال في غزو الكويت كان مهلكة له، وأي سياسي بسيط كان يدرك هذه الحقيقة؟ فكيف غفل عنها ذاك الداهية، وذهب إلى حتفه بقدميه؟

إن هذا الضال المضل لم يجد في محيطه وبطانته من يوجهه وينصحه فيثنيه، ولا أريد النصيحة التي تنطلق من الدين، بل من المصلحة الدنيوية التي كان ينبغي أن تُشير بالامتناع والكف، وإلا لدفع ثمناً غالياً وتكبَّد خسائر جسيمة. لكن يبدو أن لا أحد هناك ينصح، بل الجميع يجاملون ويداهنون، ويتملقون ويصانعون! حتى صدق المسكين نفسه، وحسب أن "الكريزما" التي يتمتع بها كفيلة بتسويق أفكاره، كما حسب الآخر أن الحزب والمؤسسات التي يمتلك ستتولى التسويق لما يطرح وتدرأ عنه الضربات وتقيه التبعات، وظن ثالث أن في ربيضة الغنم التي تتبعه الكفاية من التصديق، وأنه كما انطلت عليهم فقاهته ومرجعيته، سيخضعون لفكرته، وينسفون أصلاً أصيلاً في الدين والمذهب، توارثوه كابر عن كابر، وسيبقى حتى قيام إمام زمانهم بسيف يحز رقاب المفترين

المضلين، من الأولين والآخرين!

وبعد الاستدراج الإلهي وبطانة السوء التي تلتف بالضالين المضلين، الذين يروجون باطل صاحبهم ويدافعون عنه وينهضون باحتجاجه، فلا يسأل عن ذنوبهم المجرمون، هناك المؤمنون العاملون الذين يحملون شرف نصرة الدين والدفاع عن المذهب، يتحملون جانباً من المسؤولية في استفحال هذه الظاهرة، وذلك للمرض الروحي الذي يحكم ساحتنا من المجاملة والمداراة.

إن مقام"واجعلني ممن تنتصر به لدينك" لا يناله إلا ذو حظ عظيم، ومن يتقاعس فيصانع ويضارع ويتبع المطامع، كما في (نهج البلاغة) عن «أميرالمؤمنين»عليه السلام: "لا يقيم أمر الله سبحانه إلا من لا يصانع ولا يضارع ولا يتبع المطامع"' لا حظ له في هذا الشرف ولا نصيب.

إن ترك إنكار المنكر والأمر بالمعروف، والذهاب في المداراة والمسايرة والمداهنة والمصانعة إلى حدود تناهز النفاق، والذهاب في التقية عريضة، والتوسُّع في تطبيقها، مأساة ومصيبة، قد تطال ديننا، وفي الدعاء:"اللهم لا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا"! والحال أن حقيقة منطلق ذلك ليس خوف الشر وأخطار دفعه، ولا هو لدرء مفاسد أعظم قد تتأتى من المواجهة، بل هو"وقوف على التل"، ولجلب منافع دنيوية وشخصية، أدناها عدم فقد الاحترام والتبجيل الذي يحظى به المجاملون المراؤون المتملقون!

والحقيقة المؤلمة يمكن أن تتصوَّرها في حفلة عهر جماعي من الزنا والرقص والمجون وشرب الخمر، تقام في ساحة مكشوفة، يتعرى فيها الفسقة وينزون على بعضهم كالقردة والخنازير، على مرأى من عامة الناس وفيهم نساء وأطفال.. ثم تعلم أن إطلاق التشكيكات العقائدية والمجاهرة بالضلالات ونشر البدع وتمويه الزيف في الدين، والمس بمقامات أهل البيت وظلاماتهم، هو في حقيقته أشد قبحاً من هذا المشهد الذي يتقزز منه كل ذي حسٍّ وخلق، ناهيك بغيرة ودين.

إن كل من يسكت ويصمت، ويقف على الحياد في هذه المعركة، ولربما أظهر بعضهم بلسانه ما لم يعتقد بباطنه وقلبه، في سياق تبرير تخاذله والتماس العذر لتقاعسه، فخذل المجاهدين وأخلى الأرض من تحت أقدامهم.. هو معين وشريك ومتخندق في جبهة الضالين المضلين شاء ذلك أم أبى، اللهم ألا أن تحكمه تقية في محلها ونحو ذلك، وكل إنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره.

وآخر دعوانا بعد حمد الله، أن نلهج إليه سبحانه وتعالى بمقطع من مناجاة مولانا «زين العابدين » عليه السلام "واقشع عن بصائرنا سحاب الارتياب، واكشف عن

قلوبنا أغشية المرية والحجاب ، وأزهق الباطل عن ضمائرنا ، وأثبت الحق في سرائرنا، فإن الشكوك والظنون لواقح الفتن ، ومكدرة لصفو المنائح والمنن ، اللهم احملنا في سفن نجاتك، ومتعنا بلذيذ مناجاتك".

ونرجو لأنفسنا وأهلينا وسائر شيعة «أميرالمؤمنين» عليه السلام السلامة والمعافاة في عقيدتهم ودينهم.

* * * *

ظاهرة المعارين في ولاية أمير المومنين عليه السلام أسباب وعلاجات

الشيخ حسن الكاشاني

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِى أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾﴾ [سورة الأنعام]

عن أبي الحسن الأول قال سألته عن قول الله ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَ مُسْتَوْدَعٌ﴾ قال: المستقر الإيمان الثابت والمستودع المعار.[١٣]

عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال قلت: ﴿هُوَ الَّذِى أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَ مُسْتَوْدَعٌ﴾ قال: ما يقول أهل بلدك الذي أنت فيه قال: قلت: يقولون مستقر في الرحم ومستودع في الصلب- فقال: كذبوا- المستقر ما استقر الإيمان في قلبه فلا ينزع منه أبداً، والمستودع الذي يستودع الإيمان زماناً- ثم يسلبه وقد كان الزبير منهم.[١٤]

عن جعفر بن مروان قال: إن الزبير اخترط سيفه يوم قبض النبي صلى الله عليه وآله وقال: لا أغمده حتى أبايع لعلي، ثم اخترط سيفه فضارب علياً فكان ممن أعير الإيمان، فمشى في ضوء نوره ثم سلبه إياه.[١٥]

ليست ظاهرة الإيمان المستودع التي قد نشاهدها من بعض ظاهرة جديدة وغير معروفة لدينا، وإنما كانت ولازال البعض يعارون الإيمان وولاية المولى أمير المومنين عليه السلام برهة من الزمان ثم ينسلخون ويخلدون إلى الارض، كما حكى الله عن بلعم بن باعورا:

(١٣). عياشي، محمد بن مسعود، تفسير العيّاشي – ١ / ٣٧٣.

(١٤). عياشي، محمد بن مسعود، تفسير العيّاشي – ١ / ٣٧٣.

(١٥). عياشي، محمد بن مسعود، تفسير العيّاشي – ١ \ ٣٧٢.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَـٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ۚ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [سورة الأعراف]

والمهم دراسة مناشىء وأسباب هذه الظاهره الخطيرة كي نتجنبها ونعالجها.

فربما يظن أن حبّ الجاه والمال هما من أهم عوامل الانحراف عن نهج أمير المومنين عليه السلام ومنهاجه الذي هو صراط الله المستقيم، كما كان الابتلاء بالدنيا وعدم طهارة الروح من أسباب انحراف الناس عن الرسل والأنبياء السابقين.

وهو كذلك فإن الدنيا قد قطع الطريق على كثيرين ممن كانوا على الصراط المستقيم، كما قال سيد الشهداء عليه السلام: الناسُ عبيدُ الدنيا والدينُ لعقٌ على ألسنتهم فإذا مُحِصوا بالبلاءِ قلَّ الديانون.

إلا أن هناك من الناس من تجاوز عن هذه المرحلة أو لا أقل من أنه يحتاج إلى مبررات واقعية لتبرير موقفه وعدوله عن المذهب كي يقنع نفسه بذلك.

فكنت أفكر ما هي تلك المبررات التي تحصل القناعة الذاتيه للإنسان أن يعكف عن الماء العين وصراط الله المستقيم.

درست سيرة بعض من انحرفوا عن نهج علي أمير المومنين عليه السلام وانفصلوا عن شيعته بعد أن كانوا منهم برهة من الزمان سواء من المعارين القدامى أو الجدد، وطالعت مواقفهم قبل الانحراف وبعده، فرأيت أن هنالك موجبات ومناشيء خفية قد ليس لها بروز وظهور لكنها هي التي لعبت الدور الأساس في انحرافهم عن نهج أمير المومنين والانشقاق عن ولايته.[١٦]

(١٦). فمن المعارين المعاصرين المدعو احمد الكاتب و حسين المزيد و عبد الكريم سروش و غيرهم ممن اعلنوا انشقاقهم عن الشيعه الاثنى عشريه أم الذين لا زال يتحفظون بالعنوان الظاهرى و يعدون انفسهم من اتباع المذهب لكنهم ابتعدوا عن المسار كثيرا.

مناصب الإمام أمير المومنين عليه السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله

مما يميز الإنسان الشيعي عن غيره هو في كيفية قرائته لمنصب الخلافة والزعامة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ووجه الحاجة إلى الإمام. فإن الفكر السني لايرى حاجة إلى الخليفة ليرشده في أمر الدين والشريعة ويوقفه على تفاصيل ودقائق علوم الوحي ومعارف المبدأ والمعاد، بل إنما ينظر إليه كمنصب ظاهري يحتاج إليه المومنون لحفظ النظم وإقامة نظام سياسي عادل يقيم فيه الحدود ويحفظ فيه الثغور ويزداد حيطتها يوماً بعد يوم، ومن هنا نراهم يقتصرون في تعريف الإمامة بأنها رئاسة ظاهرية في الأمور الدنيوية. فالخليفة في الفكر السني لا يرى نفسه منبعاً ومصدراً لجميع العلوم ولا قناة متصلاً بالوحي بل وحتى لا يدّعى

أنه أعلم الموجودين في أمر الدين بل يعترف بأنه أجهل من ربّات الحجال كما اعترف بذلك الخليفة الثاني في القضية المشهورة.

لكنما الفكر الشيعي يرى الإمامة أنها منصب إلهي وإنما الحاجة الرئيسية إلى الإمام إنما هو للهداية والاهتداء بهداه، فهو المقتدى والأسوة وهو المعلم والمذكر وهو نافذة الغيب الإلهي ومن خلاله يمكن الوقوف على حقائق المبدأ والمعاد وأنه مستقى العلوم والمعارف، كما أن من شؤونه تفسير القرآن.

ويمكن تلخيص تلك المناصب كالتالي:

١. منصب تفسير القرآن

فإن القرآن مشتمل على جميع الحقائق كما قال تعالى ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴿٣٨﴾﴾وقال: ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴿٥٩﴾﴾[سورة الأنعام] فلابد له من مفسر يستخرج من القرآن بمدد وحياني جميع هذه المعارف والعلوم. والبشر عاجز عن ذلك من دون مدد إلهي، كما أن فيه المتشابهات التي لا يعلم تأويلها إلا الله والراسخون في العلم الذين هم الوارثون للكتاب المبين والذين يمسون حقيقة الكتاب المكنون الذي لا يمسه إلا المطهرون.

قال رسول الله ﷺ في خطبة الغدير:

مَعَاشِرَ النَّاسِ تَدَبَّرُوا الْقُرْآنَ وَافْهَمُوا آيَاتِهِ وَانْظُرُوا إِلَى مُحْكَمَاتِهِ وَلَا تَتَّبِعُوا مُتَشَابِهَهُ فَوَ اللَّهِ لَنْ يُبَيِّنَ لَكُمْ زَوَاجِرَهُ وَلَا يُوَضِّحُ لَكُمْ تَفْسِيرَهُ إِلَّا الَّذِي أَنَا آخِذٌ بِيَدِهِ وَمُصْعِدُهُ إِلَيَّ وَ شَائِلٌ بِعَضُدِهِ وَمُعْلِمُكُمْ أَنَّ مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا عَلِيٌّ مَوْلَاهُ وَهُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ع أَخِي وَ وَصِيِّي ومُوَالاتُهُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْزَلَهَا عَلَيَّ مَعَاشِرَ النَّاسِ إِنَّ عَلِيّاً وَالطَّيِّبِينَ مِنْ وُلْدِي هُمُ الثَّقَلُ الْأَصْغَرُ وَالْقُرْآنُ الثَّقَلُ الْأَكْبَرُ فَكُلُّ وَاحِدٍ مُنْبِئٌ عَنْ صَاحِبِهِ وَمُوَافِقٌ لَهُ لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْض ...

ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ إِلَى عَضُدِ عَلِيٍّ فَرَفَعَهُ فَكَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مُنْذُ أَوَّلِ مَا صَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ شَالَ عَلِيّاً حَتَّى صَارَتْ رجليه [رِجْلَاهُ] مَعَ رُكْبَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ مَعَاشِرَ النَّاسِ هَذَا عَلِيٌّ أَخِي وَوَصِيِّي وَالرَّاعِي بَعْدِي وَخَلِيفَتِي عَلَى أُمَّتِي وَعَلَى تَفْسِيرِ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.[١٧]

(١٧). طبسي، احمد بن علي، الإحتجاج على أهل اللجاج (للطبسي) ج١ ص ١٠ و١١ .

٢. الدعوة إلى الله بالبينة والبرهان والبصيرة

قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَـٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّـهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّـهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴿١٠٨﴾﴾ [سورة يوسف]

روى الكليني عن مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ عَنِ الْأَحْوَلِ عَنْ سَلَّامِ بْنِ الْمُسْتَنِيرِ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿قُلْ

هَـٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّـهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ... ﴿١٠٨﴾ [سورة يوسف] قَالَ ذَاكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام وَالْأَوْصِيَاءُ مِنْ بَعْدِهِمْ.[18]

وروى عن عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ عَلِيُّ بْنُ حَسَّانَ لِأَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام يَا سَيِّدِي إِنَّ النَّاسَ يُنْكِرُونَ عَلَيْكَ حَدَاثَةَ سِنِّكَ فَقَالَ وَمَا يُنْكِرُونَ مِنْ ذَلِكَ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِنَبِيِّهِ ﷺ قُلْ هذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي فَوَ اللَّهِ مَا تَبِعَهُ إِلَّا عَلِيٌّ عليه السلام وَ لَهُ تِسْعُ سِنِينَ وَأَنَا ابْنُ تِسْعِ سِنِينَ. [19]

(١٨). الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي ؛ ج١ ؛ ٥٣٤.

(١٩). الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي ؛ ج١ ؛ ٢٩٥.

٣. المرجعية العلمية للناس وان عنده جميع علوم الانبياء

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون ﴿٨٣﴾ ﴾[سورة غافر] روى الصفار قال: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ النُّعْمَانِ عَنْ بَعْضِ الصَّادِقِينَ يَرْفَعُهُ إِلَى جَعْفَرٍ قَالَ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: يَمُصُّونَ الثِّمَادَ وَيَدَعُونَ النَّهَرَ الْعَظِيمَ قِيلَ لَهُ وَمَنِ النَّهَرُ الْعَظِيمُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَإِنَّهُ وَالْعِلْمُ الَّذِي آتَاهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ جَمَعَ لِمُحَمَّدٍ ﷺ سُنَنَ النَّبِيِّينَ مِنْ آدَمَ هَلُمَّ جَرّاً إِلَى مُحَمَّدٍ قِيلَ لَهُ وَمَا تِلْكَ السُّنَنُ قَالَ عِلْمُ النَّبِيِّينَ بِأَسْرِهِ إِنَّ اللَّهَ جَمَعَ لِمُحَمَّدٍ ﷺ عِلْمَ النَّبِيِّينَ بِأَسْرِهِ وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَيَّرَ ذَلِكَ كُلَّهُ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَعْلَمُ أَوْ بَعْضُ النَّبِيِّينَ فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام اسْمَعُوا مَا نَقُولُ إِنَّ اللَّهَ يَفْتَحُ مَسَامِعَ مَنْ يَشَاءُ إِنِّي حَدَّثْتُ أَنَّ اللَّهَ جَمَعَ لِمُحَمَّدٍ ﷺ عِلْمَ النَّبِيِّينَ وَأَنَّهُ جَعَلَ ذَلِكَ كُلَّهُ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَهُوَ يَسْأَلُنِي هُوَ أَعْلَمُ أَمْ بَعْضُ النَّبِيِّينَ.[20]

(٢٠). بصائر الدرجات في فضائل آل محمد صلى الله عليهم / ج١ / ١١٧ / ١ باب في الأئمة ع أنهم ورثوا علم آدم و جميع العلماء ..... ص : ١١٥

أنه عليه السلام مستقى العلم وأزمّة الحق

نهج البلاغه: فى خطبه لأمير المومنين عليه السلام: وَآخَرُ قَدْ تَسَمَّى عَالِماً وَ لَيْسَ بِهِ ... فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ وَ أَنَّى تُؤْفَكُونَ وَالْأَعْلَامُ قَائِمَةٌ وَالْآيَاتُ وَاضِحَةٌ وَالْمَنَارُ مَنْصُوبَةٌ فَأَيْنَ يُتَاهُ بِكُمْ وَ كَيْفَ تَعْمَهُونَ وَ بَيْنَكُمْ عِتْرَةُ نَبِيِّكُمْ وَهُمْ أَزِمَّةُ الْحَقِّ وَأَعْلَامُ الدِّينِ وَأَلْسِنَةُ الصِّدْقِ فَأَنْزِلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ الْقُرْآنِ وَرِدُوهُمْ وُرُودَ الْهِيمِ الْعِطَاشِ.[21]

(٢١). شريف الرضي، محمد بن حسين، نهج البلاغة خطبه ٩٧.

نهج البلاغه: فى خطبه الشقشقيه: أما وَاللَّهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا فُلَانٌ [ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ] وَ إِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَى يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ وَلَا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ. [22]

(٢٢). شريف الرضي، محمد بن حسين، نهج البلاغة خطبه ٩٧.

٤. أنه عليه السلام موضع أسرار الله وعيبة علمه

نهج البلاغه: فى آل النبي ﷺ :

هُمْ مَوْضِعُ سِرِّهِ وَ لَجَأُ أَمْرِهِ وَ عَيْبَةُ عِلْمِهِ وَ مَوْئِلُ حُكْمِهِ وَكُهُوفُ كُتُبِهِ وَجِبَالُ

دِينِهِ بِهِمْ أَقَامَ انْحِنَاءَ ظَهْرِهِ وَأَذْهَبَ ارْتِعَادَ فَرَائِصِهِ ... لَا يُقَاسُ بِآلِ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَحَدٌ وَلَا يُسَوَّى بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيْهِ أَبَداً هُمْ أَسَاسُ الدِّينِ وَ عِمَادُ الْيَقِينِ.[٢٣]

(٢٣). شريف الرضي، محمد بن حسين، نهج البلاغة خطبه ٣.

٥. أنه عليه السلام باب كل حق وصواب

البرقى: عَنْهُ عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ عِنْدَنَا لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ حَقٌّ وَلَا صَوَابٌ إِلَّا مِنْ شَيْءٍ أَخَذُوهُ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ وَلَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ يَقْضِي بِحَقٍّ وَعَدْلٍ وَ صَوَابٍ إِلَّا مِفْتَاحُ ذَلِكَ الْقَضَاءُ وَبَابُهُ وَأَوَّلُهُ وَسَبَبُهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام فَإِذَا اشْتُبِهَتْ عَلَيْهِمُ الْأُمُورُ كَانَ الْخَطَاءُ مِنْ قِبَلِهِمْ إِذَا أَخْطَئُوا وَ الصَّوَابُ مِنْ قِبَلِ عَلِي بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام. [٢٤]

(٢٤). البرقى ، المحاسن / ج١ / ١٥١ / ١٤ باب أنتم على الحق و من خالفكم على الباطل ..... ص : ١٥١

٦. أنه عليه السلام باب مدينة العلم

نهج البلاغه: نَحْنُ الشِّعَارُ وَالْأَصْحَابُ وَالْخَزَنَةُ وَالْأَبْوَابُ وَلَا تُؤْتَى الْبُيُوتُ إِلَّا مِنْ أَبْوَابِهَا فَمَنْ أَتَاهَا مِنْ غَيْرِ أَبْوَابِهَا سُمِّيَ سَارِقاً [٢٥]

(٢٥). شريف الرضي، محمد بن حسين، نهج البلاغة خطبه ١٤٥.

٧. أنه عليه السلام النور المبين

كنز جامع الفوائد وتأويل الآيات الظاهرة بِإِسْنَادِهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمَانَ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَوْلَهُ تَعَالَى ﴿قَدْ جاءَكُمْ بُرْهانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً ﴿١٧٤﴾﴾ [سورة الأنعام] قَالَ الْبُرْهَانُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالنُّورُ الْمُبِينُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام.[٢٦]

(٢٦). بحار الأنوار (ط - بيروت) / ج١١ / ٢٤٧ / باب ١١ فضائله و خصائصه ص و ما امتن الله به على عباده ..... ص : ٣٨٨.

٨. أنه عليه السلام صراط الله المستقيم

معاني الأخبار أَحْمَدَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَنْ حَمَّادِ بْنِ عِيسَى عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ قَالَ هُوَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام وَ مَعْرِفَتُهُ وَ الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ قَوْلُهُ عَزَّ وَ جَلَّ- وَ إِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتابِ لَدَيْنا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ وَ هُوَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي أُمِّ الْكِتَابِ فِي قَوْلِهِ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ.[٢٧]

(٢٧). بحار الأنوار (ط - بيروت) / ج٢٤ / ٢٧٢ / باب ١١ أنه ع السبيل و الصراط و الميزان في القرآن ..... ص : ٢١٢

خطورة الاكتفاء بالنظريات

حينما تبرهن على وجود عين من الماء المعين في جهة معينة فتعتقد بوجوده، فقد اقتربت إلى الإرتواء من هذا الماء خطوة إذ لو كنت لا تعلم بوجود الماء لما تحركت نحوه ولبقيت عطشاناً حتى تهلك من العطش. والآن لم يبق لك إلا أن تمشي نحوه لترتوي من عذب مائه وتبرد قلبك من فراته.

وأما إذا اقتنعت من ذلك ورضيت بأنك صرت عالماً بوجود الماء وأنه يرويك عن الظمأ وافتخرت بمعرفتك هذه على غيرك ممن لا يعرفون ذلك، لكنك بقيت ساكناً في مكانك فلم تذهب لتملأ قربتك من الماء، فقد يزال عنك هذا المعتقد بعد مضي مدة من الزمان، حيث ترى نفسك ظمئاناً وإنّ معتقدك لم ينفعك شيئاً في ذلك.

فلو سقاك بعض اللصوص شيئاً من الماء الكدر المختلط بالطين لتتوجه نحوهم، وهكذا يحصل الانقلاب في العقائد.

فالإنسان الشيعي والمستقر الثابت في ولاية أمير المومنين عليه السلام هو الذي يعتقد بأن علياً عليه السلام هو مستقى العلم وأن سيل العلوم والمعارف إنما ينحدر منه وأنه صراط الله المستقيم وأنه المذكر بالله والمفسر للقرآن وغير ذلك من مناصب الإمام عليه السلام، ثم بعد ذلك يسرع إلى هذا المستقى ليستقي روحه من زلال العلوم والمعارف العلويه، فما يمر عليه يوم إلا ويشتد اعتقاده ويستحكم عقيدته وولائه، حيث يرى صدق ما توصل إليه نظرياً على أرض الواقع فيشاهد يوماً بعد يوم من المعاجز العلميه العلويه ما لا يبقى معه شك في أنه هو صاحب الولاية الكبرى والعلم الإلهي؛ فمن عرف عين الحكمة ولازال يستمر من الارتواء منه يستحيل أن ينقلب عن عقيدته فيتبع غيره ممن عرف خوائه وجفافه وكدره وخبثه.

وأما من لم يرتو من نهيل العلوم والمعارف العلويه وصد على نفسه الاستقاء من مستقاهم والارتواء من عذب مائهم وذهب يميناً ويساراً وشرقاً وغرباً ليتكدى قطرة من الماء، فليس عنده ما يثبت عقيدته سوى نظريات قد برهن عليها عنده لكنه لا يرى لهذه النظريات أي مصداقيه على أرض الواقع.

فأول مايحدث عنده أنه يعتقد أن علياً عليه السلام وإن كان هو الخليفه الأول بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، غير أنه لا يرجع إليه في مقام أخذ المعرفة والعلم، فتكون الخلافة عنده مقام رئاسة ظاهريه وليس الخلاف فيها إلا خلافاً في مسالة تاريخية لا ربط لها بواقعنا الراهن، حيث أنه حينما أراد علماً ومعرفةً وتقرباً إلى الله وتفسيراً للقرآن ونوراً وهدايةً فقد أرشد إلى غيره.

ثم هكذا شيئاً فشيئاً يتسلل في وادي الضلال حتى يصل إلى حال لا يرى ضرورة في اعتقاده بتلك المسالة التاريخيه كما صورها الشيعة المغالون عنده.

ومن ثم قال بعضهم في اعتراضه على المتكلمين أنهم يحجبون أنفسهم عن رؤية الواقع وإنما يبنون نظريات فيقولون لا بد وأن يكون الواقع كذلك لأننا توصلنا إليه.

الإعجاز العلمي فوق الإعجاز المادي

ومن هنا يعرف أن الإعجاز العلمي أكبر وأشرف وأعظم من الإعجاز المادي، ولأجل هذا صار القرآن معجزة خالدة لنبوة النبي الخاتم ﷺ، فإنه كلام الله الذي تحدى جميع الإنس والجن أن ياتوا بمثل هذا الكتاب في كونه نوراً وبصيرةً وهدايةً وعلماً وذكراً وفرقاناً وشفاءً لما في الصدور. ولأجل ذلك خيبت آمال المخالفين فانقلب إليهم البصر خاسئاً وهو حسير واعترفوا بالعجز عن ذلك.

وليس وجه إعجاز القرآن وجهة تحديه هو خصوص فصاحته وبلاغته، بل ليست الفصاحة والبلاغة إلا من دون شؤون الكتاب العزيز، فإن الله تعالى أنزل كتاباً ثم وصفه بعدة أوصاف فقال أنه هداية للعالمين وأنه ذكر للناس وأنه شفاء لما في الصدور وأنه نور وبصيرة وتبصرة وتبيان وبيان وهدى ورحمة وبركة ومبارك وعلم ويقين وغير ذلك من الأوصاف، ثم طلب من المخالفين أن ياتوا بكتاب يماثل هذا الكتاب في مواصفاته، أي إن كان بكم قوة فأتوني بعلم وهداية وبصيرة ونور مثل علم القرآن ونوره وبصيرته وهدايته.

فمن الواضح أن من يصف كتابه بأوصاف ثم يطلب من خصمه أن ياتي بكتاب مثله إنما يقصد المثلية في الصفات المعنية التي وصف كتابه بها.

ثم إن الطبيب حينما يتحدى إنما يتحدى بطبه والشاعر بشعره والأديب بأدبه وكل صاحب فن بفنه الخاص، فحينما يتحدى الرسول ﷺ وأهل بيته الطيبون فإنما يتحدون الناس بما جائوا لأجله وهو الدعوة إلى الله والهداية والنور والبصيرة والعلم كما قال ﷺ: بالتعليم أرسلت، لا بالفصاحة والبلاغة اللتان هما من شؤون الأديب الشاعر، وإن كان كلامه في هذين الجهتين أيضا يفوق الكل، لكنما الكلام في وجه التحدي.

ومن المعلوم أن الخصم إنما يركز نظره دائماً على وجه التحدي لياتي بما هو مثله، فحينما صار تحدي الكتاب بعلمه ومعارفه وهدايته وبصيرته سوف يكون أكثر تركيز الخصم على هذا الجانب من القرآن، ثم حينما يرى أن الكتاب نفسه صرح بأن علومه في صدور الذين أوتوا العلم وأن هناك طائفة خاصة يعلمون ذلك ممن أودعهم الله علم القرآن، فلا يرى لنفسه مناصاً إلا بالرجوع إلى العترة ومن عنده علم الكتاب حيث أنه يريد أن يعرف وجه التحدي ليبارزه وهذا ما لا يصل إليه إلا بعد الرجوع إلى مفسر الكتاب، فيكون هذا سبباً لاهتدائه إلى الثقلين فيرى الحق حيث يرى النور الباهر والبرهان الساطع في علم القرآن

والعترة فتثبت حجية الثقلين له في مرتبة واحدة. ثم هو بالخيار إن شاء آمن وإن شاء جحد:﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة الكهف]

بينما لو وجهنا نظر الخصم إلى الفصاحة والبلاغة لكنا قد ابعدناه عن هذا المنهل العذب الصافي، وهذه سياسة اتبعتها سلطة السقيفة لأبعاد الناس عن علوم القرآن والعترة، فنرى أن الحجم الأكبر من تفاسير العامة ركزت على الجانب الأدبي واللغوي للقرآن، بينما لو أرادوا أن يركزوا على الجانب العلمي والمعرفي لم يكن لهم بد من الرجوع إلى أهل البيت عليهم السلام وهذا ما لا يريده السلطة.

العلوم العلوية هو الشاهد الأكبر لرسالة الرسول صلى الله عليه وآله

قال الله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿٤٣﴾﴾[سورة الرعد]

وقد وردت روايات متواترة من الفريقين تقول بأن من عنده علم الكتاب هو أمير المومنين عليه السلام والأئمة المعصومون عليهم السلام، ومعلوم أن ذكر الوصف مشعر بالعلية فالله تعالى جعل علياً شاهداً على رسالة الرسول لما يتحمله من علم الكتاب، والكتاب هذا هو الكتاب المبين الذي ما من غائبة في السماوات والأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا وقد أحصاه الله فيه، ومن هنا كان يقول عليه السلام: سلوني قبل ان تفقدوني فأنا بطرق السماء أعلم منكم بطرق الارض.

وهذا العلم إنما يكون منشأ لنفوذ قدرته عليه السلام في كل شيء كما يظهر بالمقارنة بين مقام آصف بن برخيا الذي كان عنده علم من الكتاب فاستطاع بذلك من أن يأتي بعرش بلقيس من يمن إلى شام في طرفة عين وبين مقام أمير المومنين وأولاده الطاهرين الذين عندهم علم الكتاب كله.

بصائر الدرجات: حَدَّثَنَا عَبَّادُ بْنُ سُلَيْمَانَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ الدَّيْلَمِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ سَدِيرٍ قَالَ: ... فَقَالَ لِي يَا سَدِيرُ أَلَمْ تَقْرَأِ الْقُرْآنَ قَالَ قُلْتُ بَلَى قَالَ فَهَلْ وَجَدْتَ فِيمَا قَرَأْتَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ قالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ قَالَ قُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاكَ قَدْ قَرَأْتُ قَالَ فَهَلْ عَرَفْتَ الرَّجُلَ وَهَلْ عَلِمْتَ مَا كَانَ عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ قَالَ قُلْتُ فَأَخْبِرْنِي أَفْهَمْ قَالَ قَدْرُ قَطْرَةِ الثَّلْجِ فِي الْبَحْرِ الْأَخْضَرِ فَمَا يَكُونُ ذَلِكَ مِنْ عِلْمِ الْكِتَابِ قَالَ قُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاكَ مَا أَقَلَّ هَذَا قَالَ فَقَالَ لِي يَا سَدِيرُ مَا أَكْثَرَ مِنْ هَذَا لِمَنْ يَنْسُبُهُ اللَّهُ إِلَى الْعِلْمِ الَّذِي أُخْبِرُكَ بِهِ يَا سَدِيرُ فَهَلْ وَجَدْتَ فِيمَا قَرَأْتَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَ قُلْ كَفى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتابِ قَالَ قُلْتُ قَدْ قَرَأْتُهُ قُلْتُ جُعِلْتُ

فِدَاكَ قَالَ فَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَفْهَمُ أَمْ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ قَالَ بَلْ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ كُلُّهُ قَالَ فَأَوْمَى بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ قَالَ وَعِلْمُ الْكِتَابِ وَاللَّهِ كُلُّهُ عِنْدَنَا عِلْمُ الْكِتَابِ وَاللَّهِ كُلُّهُ عِنْدَنَا.[٢٨]

(٢٨). صفار، محمد بن حسن، بصائر الدرجات في فضائل آل محمد صلى الله عليهم ج١ ؛ ص٣٢٠

فأمير المومنين عليه السلام وعلمه وقدرته يكون من أعظم معاجز الرسول صلى الله عليه وآله وأكبر شاهد على رسالته بعد شهادة الله على ذلك.

قال ابن النديم في الفهرست: روى الواقدي أن علياً عليه السلام كان من معجزات النبي صلى الله عليه وآله وسلم كالعصا لموسى عليه السلام وإحياء الموتى لعيسى بن مريم عليه السلام.

وقد ذكرعلماء الإمامية وجوها في كيفية شهادة أمير المومنين لصدق وحقانية دعوة الرسول مع أن قبول ولايته إنما يكون في الرتبة المتاخرة عن قبول نبوة النبي صلى الله عليه وآله.

قال المرحوم الشيخ أحمد الرحماني:

إن قلت : المنكر للأصل - وهو النبي صلى الله عليه وآله - فلا تكون شهادته قاطعة للخصومة النسبة إلى النبوة، فكيف يستشهد الله عز وجل بشهادته على ثبوت النبوة ويحتج بها على منكري النبوة والرسالة ؟

يقال : إنما لا يجوز الاكتفاء بشهادة الفرع إذا كان القبول مستنداً إلى مجرد الإقرار والاعتراف مع قطع النظر عن ظهور مقامه ودرجته من كونه عالماً بالكتاب، واقفاً على كل شيء، قادراً على إظهار المعجزات وخوارق العادات الملازم للعصمة والصدق عقلاً، وأما إذا كان الاستشهاد به من حيث كونه كذلك -كما في المقام- حيث لم يذكر الشاهد باسمه بل بوصفه لينظر المنكر في شأنه ويراجع إليه ويظهر عنده ثبوت آثاره فينكشف عنده ثبوت الوصف للشاهد وأحقية المشهود به فهو قاطع للخصومة ومثبت للدعوى بالضرورة وإن لم يتعرف به المنكر عناداً.[٢٩]

(٢٩). الامام علي بن ابي طالب: ٢٥٨.

فعلى من يريد أن يعرف حقانية دعوة الرسول أن ينظر إلى العلوم العلوية ويطلع على هذا البحر الزخار من المعارف الوحيانيه التي يجد صحتها بفطرته وعقله كي يظهر له حقانية صاحب الدعوة. فهذا الإنسان في الحقيقة لا يعتقد بوجود الماء على أساس فرضيات وتصورات بل شرب منه وأحس برده بجميع ما يمكن أن يشعر به.

ومن الواضح أن بقية الشهود كشق القمر وتسبيح الحصى وتكليم الشجرة وغير ذلك كلها تأتي في المرتبة المتاخرة عن شهادة علي وعلمه على رسالة الرسول صلى الله عليه وآله. ومن ذلك أنه تعالى لم يقرن شيئاً من تلك الشهادات بشهادة نفسه إلا شهادة أمير المومنين عليه السلام وعلومه العلوية.

وهذا النمط من الدعوة للإيمان موسس على البرهان العيني اليقيني، أو ما يعبر عنه بالبرهان الذوقي الوجداني، أي أنك تتذوق بحقيقة وجدانك صدق مقالة النبي وصدق مقالة الولي حيث تتذوقها فتجدها عذباً فراتاً لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وأما لو كنا قد اكتفينا بنظريات وتصورات وتطلعات عن الواقع من بعيد فلن يحصل هذا الاعتقاد الراسخ، وهذه هي المواخذة المسجلة على من يقتصر على المنهج الكلامي الجاف دون منهج الوقوف على أسرار المعارف. فهناك فرق بين من يعتقد حسب الأدلة أنه لا بد وأن يكون هنالك ماء وبين من ارتوى منه فوجدها عذباً فراتاً.

فترى بالغ حكمة الله أنه كيف يرشد الكافرين من بداية الدعوة ليرتووا من العلوم العلوية فيكون إيمانهم إيماناً ثابتاً لا يتزلزل، وأنه على عكس ذلك سياسة رجال السقيفه والبلاط الاموي والعباسي حيث صرفوا غاية جهدهم ليسلبوا عن أئمة اهل البيت عليهم السلام منصبهم في المرجعية العلمية وكونهم مستقى العلوم والمعارف.

نماذج من الذين آمنوا لأجل علم مولانا أمير المومنين عليه السلام:

- الكلينى: عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ عَنْ أَبِيهِ رَفَعَهُ قَالَ: اجْتَمَعَتِ الْيَهُودُ إِلَى رَأْسِ الْجَالُوتِ فَقَالُوا لَهُ إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ عَالِمٌ يَعْنُونَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فَانْطَلِقْ بِنَا إِلَيْهِ نَسْأَلْهُ فَأَتَوْهُ

فَقِيلَ لَهُمْ هُوَ فِي الْقَصْرِ فَانْتَظَرُوهُ حَتَّى خَرَجَ

فَقَالَ لَهُ رَأْسُ الْجَالُوتِ جِئْنَاكَ نَسْأَلُكَ

فَقالَ سَلْ يَا يَهُودِيُّ عَمَّا بَدَا لَكَ

فَقَالَ أَسْأَلُكَ عَنْ رَبِّكَ مَتَى كَانَ

فَقَالَ كَانَ بِلَا كَيْنُونِيَّةٍ كَانَ بِلَا كَيْفٍ كَانَ لَمْ يَزَلْ بِلَا كَمٍّ وَبِلَا كَيْفٍ كَانَ لَيْسَ لَهُ قَبْلٌ هُوَ قَبْلَ الْقَبْلِ بِلَا قَبْلٍ وَلَا غَايَةٍ وَلَا مُنْتَهًى انْقَطَعَتْ عَنْهُ الْغَايَةُ وَهُوَ غَايَةُ كُلِّ غَايَةٍ

فَقَالَ رَأْسُ الْجَالُوتِ امْضُوا بِنَا فَهُوَ أَعْلَمُ مِمَّا يُقَالُ فِيهِ.[٣٠]

(٣٠). كليني، محمد بن يعقوب،الكافي(ط-الإسلامية)ج١؛ص٩٨

- وَبِهَذَا الْإِسْنَادِ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي نَصْرٍ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الْمَوْصِلِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ: جَاءَ حِبْرٌ مِنَ الْأَحْبَارِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَتَى كَانَ رَبُّكَ؟

فَقَالَ لَهُ ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ وَمَتَى لَمْ يَكُنْ حَتَّى يُقَالَ مَتَى كَانَ كَانَ رَبِّي قَبْلَ الْقَبْلِ بِلَا قَبْلٍ وَبَعْدَ الْبَعْدِ بِلَا بَعْدٍ وَ لَا غَايَةَ وَلَا مُنْتَهَى لِغَايَتِهِ انْقَطَعَتِ الْغَايَاتُ عِنْدَهُ

فَهُوَ مُنْتَهَى كُلِّ غَايَةٍ

فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَ فَنَبِيٌّ أَنْتَ؟

فَقَالَ وَيْلَكَ إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ مِنْ عَبِيدِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله [31]

- عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ عُثْمَانَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَمَاعَةَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَأْسُ الْجَالُوتِ لِلْيَهُودِ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّ عَلِيّاً عليه السلام مِنْ أَجْدَلِ النَّاسِ وَأَعْلَمِهِمْ اذْهَبُوا بِنَا إِلَيْهِ لَعَلِّي أَسْأَلُهُ عَنْ مَسْأَلَةٍ وَأُخَطِّئُهُ فِيهَا فَأَتَاهُ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْ مَسْأَلَةٍ

قَالَ سَلْ عَمَّا شِئْتَ

قَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَتَى كَانَ رَبُّنَا

قَالَ لَهُ يَا يَهُودِيُّ إِنَّمَا يُقَالُ مَتَى كَانَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ فَكَانَ مَتَى كَانَ هُوَ كَائِنٌ بِلَا كَيْنُونِيَّةِ كَائِنٍ كَانَ بِلَا كَيْفٍ يَكُونُ بَلَى يَا يَهُودِيُّ ثُمَّ بَلَى يَا يَهُودِيُّ كَيْفَ يَكُونُ لَهُ قَبْلٌ هُوَ قَبْلَ الْقَبْلِ بِلَا غَايَةٍ وَلَا مُنْتَهَى غَايَةٍ وَلَا غَايَةَ إِلَيْهَا انْقَطَعَتِ الْغَايَاتُ عِنْدَهُ هُوَ غَايَةُ كُلِّ غَايَةٍ

فَقَالَ أَشْهَدُ أَنَّ دِينَكَ الْحَقُّ وَ أَنَّ مَا خَالَفَهُ بَاطِلٌ.[32]

- الكلينى: عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ وَ إِسْحَاقَ بْنِ مُحَمَّدٍ وَغَيْرِهِمَا رَفَعُوهُ قَالَ: كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام جَالِساً بِالْكُوفَةِ بَعْدَ مُنْصَرَفِهِ مِنْ صِفِّينَ إِذْ أَقْبَلَ شَيْخٌ فَجَثَا بَيْنَ يَدَيْهِ- ثُمَّ قَالَ لَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَخْبِرْنَا عَنْ مَسِيرِنَا إِلَى أَهْلِ الشَّامِ أَ بِقَضَاءٍ مِنَ اللَّهِ وَقَدَرٍ؟

فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام أَجَلْ يَا شَيْخُ مَا عَلَوْتُمْ تَلْعَةً وَلَا هَبَطْتُمْ بَطْنَ وَادٍ إِلَّا بِقَضَاءٍ مِنَ اللَّهِ وَقَدَرٍ

فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ عِنْدَ اللَّهِ أَحْتَسِبُ عَنَائِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ

فَقَالَ لَهُ مَهْ يَا شَيْخُ فَوَ اللَّهِ لَقَدْ عَظَّمَ اللَّهُ الْأَجْرَ فِي مَسِيرِكُمْ وَأَنْتُمْ سَائِرُونَ وَفِي مُقَامِكُمْ وَأَنْتُمْ مُقِيمُونَ وَفِي مُنْصَرَفِكُمْ وَأَنْتُمْ مُنْصَرِفُونَ وَلَمْ تَكُونُوا فِي شَيْءٍ مِنْ حَالاتِكُمْ- مُكْرَهِينَ وَلَا إِلَيْهِ مُضْطَرِّينَ

فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ وَكَيْفَ لَمْ نَكُنْ فِي شَيْءٍ مِنْ حَالاتِنَا مُكْرَهِينَ وَلَا إِلَيْهِ مُضْطَرِّينَ وَكَانَ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ مَسِيرُنَا وَمُنْقَلَبُنَا وَمُنْصَرَفُنَا

فَقَالَ لَهُ وَتَظُنُّ أَنَّهُ كَانَ قَضَاءً حَتْماً وَقَدَراً لَازِماً إِنَّهُ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَبَطَلَ الثَّوَابُ وَ الْعِقَابُ وَالْأَمْرُ وَالنَّهْيُ وَالزَّجْرُ مِنَ اللَّهِ وَسَقَطَ مَعْنَى الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ فَلَمْ تَكُنْ لَائِمَةٌ لِلْمُذْنِبِ وَلَا مَحْمَدَةٌ لِلْمُحْسِنِ وَلَكَانَ الْمُذْنِبُ أَوْلَى بِالْإِحْسَانِ مِنَ الْمُحْسِنِ وَلَكَانَ الْمُحْسِنُ أَوْلَى بِالْعُقُوبَةِ مِنَ الْمُذْنِبِ تِلْكَ مَقَالَةُ إِخْوَانِ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ

(٣١). كليني، محمد بن يعقوب، الكافي (ط - الإسلامية) - ؛ ج١ ؛ ص٩٨

(٣٢). كليني، محمد بن يعقوب، الكافي (ط - الإسلامية) - ؛ ج١ ؛ ص٩٨

وَخُصَمَاءِ الرَّحْمَنِ وَحِزْبِ الشَّيْطَانِ وَقَدَرِيَّةِ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَمَجُوسِهَا إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كَلَّفَ تَخْيِيراً- وَنَهَى تَحْذِيراً وَأَعْطَى عَلَى الْقَلِيلِ كَثِيراً وَلَمْ يُعْصَ مَغْلُوباً وَلَمْ يُطَعْ مُكْرِهاً- وَ لَمْ يُمَلِّكْ مُفَوِّضاً وَلَمْ يَخْلُقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَما بَيْنَهُما باطِلًا- وَلَمْ يَبْعَثِ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ عَبَثاً ذلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ

فَأَنْشَأَ الشَّيْخُ يَقُولُ:

أَنْتَ الْإِمَامُ الَّذِي نَرْجُو بِطَاعَتِهِ ... يَوْمَ النَّجَاةِ مِنَ الرَّحْمَنِ غُفْرَاناً

أَوْضَحْتَ مِنْ أَمْرِنَا مَا كَانَ مُلْتَبِساً ... جَزَاكَ رَبُّكَ بِالْإِحْسَانِ إِحْسَاناً[٣٣]

(٣٣). الكافي (ط - الإسلامية) / ج١ / ١٤٤ / بـاب الـب و القدر و الأمـر بين الأمرين ..... ص : ١٤٤

فى حديث سلمان الذى يروى فيه قدوم جاثليق مع الوفد المرفق به من أصحابه من قبل ملك روم ليستفسروا عن خليفه رسول الله ﷺ وقد رواه المحدّثين وفرّقوا أجزاءه على الأبواب المختلفه وقال عنه المجلسى انه مرويّة في الأصول المعتبرة، وهذا ممّا يدلّ على صحّتها، ورواه الشيخ قدس سره في فهرسته[٣٤] :

فَأَتَوْا مَسْجِدَ رَسُولِ اللَّهِ، فَدَخَلُوا، عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَهُوَ فِي حَشَدَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ فِيهِمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ وَخَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَعُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ وَأَنَا فِي الْقَوْمِ، فَوَقَفُوا عَلَيْهِ فَقَالَ زَعِيمُ الْقَوْمِ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ .. فَرَدُّوا عَلَيْهِ السَّلَامَ.

وحينما استفسروا عن خليفه الرسول فارشدوه إلى أبى بكر فساله عن أساله كان يجهلها، فقاموا بالطعن فى الدين، فقام سلمان وأخبر أمير المؤمنين بما حل بالقوم من الذل والهوان وقال هَلَكَ دِينُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَ هَلَكَ الْإِسْلَامُ بَعْدَ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَ ظَهَرَ أَهْلُ الْكُفْرِ عَلَى دِينِهِ وَ أَصْحَابِهِ بِالْحُجَّةِ، فَأَدْرِكْ- يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ!- دِينَ مُحَمَّدٍ ﷺ ...

قال سلمان:

فَنَهَضَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام مَعِي حَتَّى أَتَيْنَا الْقَوْمَ وَ قَدْ أُلْبِسُوا الذِّلَّةَ وَالْمَهَانَةَ والصَّغَارَ وَالْحَيْرَةَ، فَسَلَّمَ عَلِيٌّ عليه السلام ثُمَّ جَلَسَ، فَقَالَ: يَا نَصْرَانِيُّ! أَقْبِلْ عَلَيَّ بِوَجْهِكَ وَاقْصِدْنِي بِمَسَائِلِكَ فَعِنْدِي جَوَابُ مَا يَحْتَاجُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيمَا يَأْتُونَ وَيَذَرُونَ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.

فبعد كلام دار بينهم قال الجاثليق:

فَهَلْ عِنْدَكَ أَيُّهَا الشَّابُّ شِفَاءٌ لِمَا فِي صُدُورِنَا؟.

قَالَ عَلِيٌّ عليه السلام: بَلَى! عِنْدِي شِفَاءٌ لِصُدُورِكُمْ، وَضِيَاءٌ لِقُلُوبِكُمْ، وَشَرْحٌ لِمَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ، وَبَيَانٌ لَا يَخْتَلِجُكُمُ الشَّكُّ مَعَهُ، وَإِخْبَارٌ عَنْ أُمُورِكُمْ، وَبُرْهَانٌ لِدَلَالَتِكُمْ، فَأَقْبِلْ عَلَيَّ بِوَجْهِكَ، وَفَرِّغْ لِي مَسَامِعَ قَلْبِكَ، وَأَحْضِرْنِي ذِهْنَكَ ...

(٣٤). الفهرست للشيخ الطوسّي:١٤٩ برقم٢٣٨ طبعة جامعة مشهد[و صفحة: ٩٠ برقم ٢٣٩].

وحينما بدأ الإمام بالكلام واستمع جاثليق وانبهر بكلامه وأنه على خلاف كلام أبي بكر الْتَفَتَ إِلَى أَصْحَابِهِ وَقَالَ:

هَذَا هُوَ وَاللَّهِ النَّاطِقُ بِالْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ، الْفَاتِقُ الرَّاتِقُ، وَنَرْجُو مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ نَكُونَ صَادَفْنَا حَظَّنَا، وَ نُورَ هِدَايَتِنَا، وَهَذِهِ وَ اللَّهِ حُجَجُ الْأَوْصِيَاءِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَى قَوْمِهِمْ... إِلَّا أَنَّهُ قَدْ نَصَبْتُ لَهُ مَسَائِلَ فَإِنْ أَجَابَنِي عَنْهَا نَظَرْنَا فِي أَمْرِنَا وَقَبِلْتُ مِنْهُ.

قَالَ عَلِيٌّ عليه السلام: فَإِنْ أَجَبْتُكَ عَمَّا تَسْأَلُنِي عَنْهُ- وَفِيهِ تِبْيَانٌ وَبُرْهَانٌ وَاضِحٌ لَا تَجِدُ لَهُ مَدْفَعاً وَ لَا مِنْ قَبُولِهِ بُدّاً أَنْ-تَدْخُلَ فِي دِينِنَا؟

قَالَ: نَعَمْ.

فَقَالَ عَلِيٌّ عليه السلام: اللَّهُ عَلَيْكَ رَاعٍ وَكَفِيلٌ، إِذَا وَضَحَ لَكَ الْحَقُّ وَعَرَفْتَ الْهُدَى أَنْ تَدْخُلَ فِي دِينِنَا أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ؟.

قَالَ الْجَاثَلِيقُ: نَعَمْ، لَكَ اللَّهُ عَلَيَّ رَاعٍ وَكَفِيلٌ أَنِّي أَفْعَلُ ذَلِكَ.

فَقَالَ عَلِيٌّ عليه السلام: فَخُذْ عَلَى أَصْحَابِكَ الْوَفَاءَ.

قَالَ: فَأَخَذَ عَلَيْهِمُ الْعَهْدَ.

ثُمَّ قَالَ عَلِيٌّ عليه السلام: سَلْ عَمَّا أَحْبَبْتَ.

قَالَ: خَبِّرْنِي عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَ أَ حَمَلَ الْعَرْشَ أَمِ الْعَرْشُ يَحْمِلُهُ؟.

قَالَ عليه السلام: اللَّهُ حَامِلُ الْعَرْشِ وَالسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِمَا وَمَا بَيْنَهُمَا، وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا ۚ وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ ۚ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾[سورة فاطر].

قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿يَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴿١٧﴾﴾[سورة الحاقة] فَكَيْفَ ذَلِكَ؟ وَقُلْتَ إِنَّهُ يَحْمِلُ الْعَرْشَ وَالسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ؟.

قَالَ عَلِيٌّ عليه السلام: إِنَّ الْعَرْشَ خَلَقَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْ أَنْوَارٍ أَرْبَعَةٍ:

نُورٍ أَحْمَرَ- احْمَرَّتْ مِنْهُ الْحُمْرَةُ-، وَنُورٍ أَخْضَرَ- اخْضَرَّتْ مِنْهُ الْخُضْرَةُ-، وَنُورٍ أَصْفَرَ- اصْفَرَّتْ مِنْهُ الصُّفْرَةُ-، وَنُورٍ أَبْيَضَ- ابْيَضَ مِنْهُ الْبَيَاضُ- وَهُوَ الْعِلْمُ الَّذِي حَمَّلَهُ اللَّهُ الْحَمَلَةَ، وَذَلِكَ نُورٌ مِنْ عَظَمَتِهِ، فَبِعَظَمَتِهِ وَنُورِهِ ابْيَضَّتْ قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ، وَبِعَظَمَتِهِ وَنُورِهِ عَادَاهُ الْجَاهِلُونَ، وَبِعَظَمَتِهِ وَنُورِهِ ابْتَغَى مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ- مِنْ جَمِيعِ خَلَائِقِهِ- إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ بِالْأَعْمَالِ الْمُخْتَلِفَةِ وَالْأَدْيَانِ الْمُتَشَتِّتَةِ، وَكُلُّ مَحْمُولٍ يَحْمِلُهُ اللَّهُ بِنُورِهِ وَعَظَمَتِهِ وَقُدْرَتِهِ لَا يَسْتَطِيعُ لِنَفْسِهِ نَفْعاً وَلا ضَرًّا وَلَا مَوْتاً وَلا حَياةً وَلا نُشُوراً، وَكُلُّ شَيْءٍ مَحْمُولٌ وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمُمْسِكُ لَهُمَا أَنْ تَزُولا، وَالْمُحِيطُ بِهِمَا وَبِمَا فِيهِمَا مِنْ شَيْءٍ، وَهُوَ حَيَاةُ كُلِّ شَيْءٍ وَنُورُ كُلِّ شَيْءٍ سُبْحانَهُ وَتَعالى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيراً .

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ أَيْنَ هُوَ؟.

قَالَ عليه السلام: هُوَ هَاهُنَا .. وَ هَاهُنَا .. وَ هَاهُنَا .. وَ هَاهُنَا .. وَ هُوَ فَوْقُ وَتَحْتُ وَمُحِيطٌ بِنَا وَمَعَنَا، وَهُوَ قَوْلُهُ: ما يَكُونُ مِنْ نَجْوى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سادِسُهُمْ وَلا أَدْنى مِنْ ذلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ ما كانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِما عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيامَةِ، وَالْكُرْسِيُّ مُحِيطٌ بِالسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ:

وَلا يَؤُدُهُ حِفْظُهُما وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ فَالَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ هُمُ الْعُلَمَاءُ، وَهُمُ الَّذِينَ حَمَّلَهُمُ اللَّهُ عِلْمَهُ، وَلَيْسَ يَخْرُجُ عَنْ هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ شَيْءٌ خَلَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي مَلَكُوتِهِ، وَهُوَ الْمَلَكُوتُ الَّذِي أَرَاهُ اللَّهُ أَصْفِيَاءَهُ، وَأَرَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَلِيلَهُ عليه السلام، فَقَالَ: ﴿وَكَذلِكَ نُرِي إِبْراهِيمَ مَلَكُوتَ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾﴾[سورة الأنعام] فَكَيْفَ يَحْمِلُهُ حَمَلَةُ الْعَرْشِ وَ بِحَيَاتِهِ حَيِيَتْ قُلُوبُهُمْ، وَبِنُورِهِ اهْتَدَوْا إِلَى مَعْرِفَتِهِ وَانْقَادُوا؟!.

قَالَ: فَالْتَفَتَ الْجَاثَلِيقُ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: هَذَا هُوَ- وَاللَّهِ- الْحَقُّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى لِسَانِ الْمَسِيحِ وَالنَّبِيِّينَ وَالْأَوْصِيَاءِ عليهم السلام.

قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الْجَنَّةِ فِي الدُّنْيَا هِيَ أَمْ فِي الْآخِرَةِ؟ وَأَيْنَ الْآخِرَةُ وَ الدُّنْيَا؟.

قَالَ عليه السلام: الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ، وَالْآخِرَةُ مُحِيطَةٌ بِالدُّنْيَا، إِذَا [إِذْ] كَانَتِ النُّقْلَةُ مِنَ الْحَيَاةِ إِلَى الْمَوْتِ ظَاهِرَةً، كَانَتِ الْآخِرَةُ هِيَ دَارَ الْحَيَوَانِ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ، وَذَلِكَ أَنَّ الدُّنْيَا نُقْلَةٌ وَالْآخِرَةَ حَيَاةٌ وَمُقَامٌ مَثَلُ ذَلِكَ النَّائِمُ، وَذَلِكَ أَنَّ الْجِسْمَ يَنَامُ وَالرُّوحَ لَا تَنَامُ، وَالْبَدَنَ يَمُوتُ وَالرُّوحَ لَا تَمُوتُ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿إِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾[سورة الأنعام] وَالدُّنْيَا رَسْمُ الْآخِرَةِ، وَالْآخِرَةُ رَسْمُ الدُّنْيَا، وَلَيْسَ الدُّنْيَا الْآخِرَةَ وَلَا الْآخِرَةُ الدُّنْيَا، إِذَا فَارَقَ الرُّوحُ الْجِسْمَ يَرْجِعُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى مَا مِنْهُ بَدَأَ، وَ مَا مِنْهُ خُلِقَ، وَ كَذَلِكَ الْجَنَّةُ وَ النَّارُ فِي الدُّنْيَا مَوْجُودَةٌ وَ فِي الْآخِرَةِ مَوْجُودَةٌ، لِأَنَّ الْعَبْدَ إِذَا مَاتَ صَارَ فِي دَارٍ مِنَ الْأَرْضِ، إِمَّا رَوْضَةٍ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، وَ إِمَّا بُقْعَةٍ مِنْ بِقَاعِ النَّارِ، وَرُوحُهُ إِلَى إِحْدَى دَارَيْنِ: إِمَّا فِي دَارِ نَعِيمٍ مُقِيمٍ لَا مَوْتَ فِيهَا، وَإِمَّا فِي دَارِ عَذَابٍ أَلِيمٍ لَا يَمُوتُ فِيهَا، وَالرَّسْمُ لِمَنْ عَقَلَ مَوْجُودٌ وَاضِحٌ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّها عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾[سورة التكاثر]، وَعَنِ الْكُفَّارِ.فَقَالَ إِنَّهُمْ: ﴿كانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾﴾[سورة الكهف]، وَلَوْ عَلِمَ الْإِنْسَانُ عِلْمَ مَا هُوَ فِيهِ مَاتَ حُبّاً مِنَ الْمَوْتِ، وَمَنْ نَجَا فَبِفَضْلِ الْيَقِينِ.

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾[٣٥][سورة

(٣٥). وفي الإرشاد و(س): سبحانه و تعالى ع مّا يقول الظّالمون .. فلا تصبح آية.

الزمر]، فَإِذَا طُوِيَتِ السَّمَاوَاتُ وَقُبِضَتِ الْأَرْضُ، فَأَيْنَ تَكُونُ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ وَهُمَا فِيهِمَا؟. قَالَ: فَدَعَا بِدَوَاةٍ وَقِرْطَاسٍ ثُمَّ كَتَبَ فِيهِ: الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، ثُمَّ دَرَجَ الْقِرْطَاسَ وَدَفَعَهُ إِلَى النَّصْرَانِيِّ، وَقَالَ لَهُ: أَ لَيْسَ قَدْ طَوَيْتُ هَذَا الْقِرْطَاسَ؟ قَالَ:

نَعَمْ. قَالَ: فَافْتَحْهُ .. فَفَتَحْتُهُ قَالَ: هَلْ تَرَى آيَةَ النَّارِ وَآيَةَ الْجَنَّةِ أَ مَحَاهُمَا الْقِرْطَاسُ؟. قَالَ: لَا. قَالَ: فَهَكَذَا فِي قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى إِذَا طُوِيَتِ السَّمَاوَاتُ وَ قُبِضَتِ الْأَرْضُ لَمْ تَبْطُلِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ كَمَا لَمْ تُبْطِلْ طَيُّ هَذَا الْكِتَابِ آيَةَ الْجَنَّةِ وآيَةَ النَّارِ.

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۝٨٨﴾[سورة القصص]، وَكَيْفَ هُوَ؟، وَأَيْنَ يُؤْتَى؟، وَمَا دَلِيلُنَا عَلَيْهِ؟.

قَالَ عَلِيٌّ عليه السلام: يَا غُلَامُ! عَلَيَّ بِحَطَبٍ وَنَارٍ، فَأُتِيَ بِحَطَبٍ ونَارٍ وَأَمَرَ أَنْ تُضْرَمَ، فَلَمَّا اسْتَوْقَدَتْ وَاشْتَعَلَتْ، قَالَ لَهُ: يَا نَصْرَانِيُّ هَلْ تَجِدُ لِهَذِهِ النَّارِ وَجْهاً دُونَ وَجْهٍ؟. قَالَ: لَا، حَيْثُمَا أَتَيْتُهَا فَهُوَ وَجْهٌ.

قَالَ عليه السلام: فَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ النَّارُ الْمَخْلُوقَةُ الْمُدَبَّرَةُ فِي ضَعْفِهَا وَسُرْعَةِ زَوَالِهَا لَا تَجِدُ لَهَا وَجْهاً فَكَيْفَ مَنْ خَلَقَ هَذِهِ النَّارَ وَجَمِيعُ مَا فِي مَلَكُوتِهِ مِنْ شَيْءٍ أَجَابَهُ؟ كَيْفَ يُوصَفُ بِوَجْهٍ أَوْ يُحَدُّ بِحَدٍّ، أَوْ يُدْرَكُ بِبَصَرٍ، أَوْ يُحِيطُ بِهِ عَقْلٌ، أَوْ يَضْبِطُهُ وَهْمٌ، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ .

قَالَ الْجَاثَلِيقُ: صَدَقْتَ أَيُّهَا الْوَصِيُّ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ الرَّفِيقُ الْهَادِي، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً، وَأَنَّكَ وَصِيُّهُ وَصَدِيقُهُ وَدَلِيلُهُ وَمَوْضِعُ سِرِّهِ وَأَمِينُهُ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَوَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ بَعْدِهِ، مَنْ أَحَبَّكَ وَتَوَلَّاكَ هَدَيْتَهُ وَنَوَّرْتَ قَلْبَهُ وَأَغْنَيْتَهُ وَكَفَيْتَهُ وَشَفَيْتَهُ، وَمَنْ تَوَلَّى عَنْكَ وَعَدَلَ عَنْ سَبِيلِكَ ضَلَ وَغُبِنَ عَنْ حَظِّهِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَكَفَى هُدَاكَ وَنُورُكَ هَادِياً وَكَافِياً وَشَافِياً.

قَالَ: ثُمَّ الْتَفَتَ الْجَاثَلِيقُ إِلَى الْقَوْمِ فَقَالَ: يَا هَؤُلَاءِ! قَدْ أَصَبْتُمْ أُمْنِيَّتَكُمْ وَأَخْطَأْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، فَاتَّبِعُوهُ تَهْتَدُوا وَتَرْشُدُوا، فَمَا دَعَاكُمْ إِلَى مَا فَعَلْتُمْ؟! مَا أَعْرِفُ لَكُمْ عُذْراً بَعْدَ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحُجَّةِ عَلَيْكُمْ، أَشْهَدُ أَنَّهَا سُنَّةُ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَلا تَبْدِيلَ لِكَلِماتِ اللَّهِ، وَقَدْ قَضَى عَزَّ وَجَلَّ الِاخْتِلَافَ عَلَى الْأُمَمِ، الِاسْتِبْدَالَ بِأَوْصِيَائِهِمْ بَعْدَ أَنْبِيَائِهِمْ، وَمَا الْعَجَبُ إِلَّا مِنْكُمْ بَعْدَ مَا شَاهَدْتُمْ؟! فَمَا هَذِهِ الْقُلُوبُ الْقَاسِيَةُ، وَ الْحَسَدُ الظَّاهِرُ، وَ الضِّغْنُ وَ الْإِفْكُ الْمُبِينُ؟!.

قَالَ: وَأَسْلَمَ النَّصْرَانِيُّ وَ مَنْ مَعَهُ وَ شَهِدُوا لِعَلِيٍّ عليه السلام بِالْوَصِيَّةِ وَ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ بِالْحَقِّ وَ النُّبُوَّةِ، وَ أَنَّهُ الْمَوْصُوفُ الْمَنْعُوتُ فِي التَّوْرَاةِ وَ الْإِنْجِيلِ، ثُمَّ خَرَجُوا مُنْصَرِفِينَ إِلَى مَلِكِهِمْ لِيَرُدُّوا عَلَيْهِ مَا عَايَنُوا وَمَا سَمِعُوا ...

- إِرْشَادُ الْقُلُوبِ : بِحَذْفِ الْأَسَانِيدِ، قِيلَ: لَمَّا كَانَ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله دَخَلَ

يَهُودِيٌّ الْمَسْجِدَ فَقَالَ: أَيْنَ وَصِيُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَأَشَارُوا إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَوَقَفَ عَلَيْهِ وَقَالَ: إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْ أَشْيَاءَ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ وَصِيُّ نَبِيٍّ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ؟ فَقَالَ الْيَهُودِيُّ:

أَخْبِرْنِي عَمَّا لَيْسَ لِلَّهِ؟ وَعَمَّا لَيْسَ عِنْدَ اللَّهِ؟ وَعَمَّا لَا يَعْلَمُهُ اللَّهُ؟.

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: هَذِهِ مَسَائِلُ الزَّنَادِقَةِ، يَا يَهُودِيُّ! أَ وَفِي السَّمَاءِ شَيْءٌ لَا يَعْلَمُهُ اللَّهُ؟ وَ هَمَّ بِهِ الْمُسْلِمُونَ- وَكَانَ فِي الْقَوْمِ ابْنُ عَبَّاسٍ- فَقَالَ: مَا أَنْصَفْتُمُ الرَّجُلَ؟!.

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَ وَمَا سَمِعْتَ مَا تَكَلَّمَ بِهِ؟. فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنْ كَانَ عِنْدَكُمْ جَوَابٌ وَإِلَّا فَاذْهَبُوا بِهِ إِلَى مَنْ يُجِيبُهُ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام: اللَّهُمَّ اهْدِ قَلْبَهُ وَ ثَبِّتْ لِسَانَهُ.

قَالَ: فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ وَمَنْ حَضَرَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ فَأَتَوْا عَلِيّاً عليه السلام، فَاسْتَأْذَنُوا عَلَيْهِ، فَدَخَلُوا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا أَبَا الْحَسَنِ! إِنَّ هَذَا الْيَهُودِيَّ سَأَلَنِي عَنْ مَسَائِلِ الزَّنَادِقَةِ.

قَالَ: فَقَالَ عَلِيٌّ عليه السلام لِلْيَهُودِيِّ: مَا تَقُولُ يَا يَهُودِيُّ؟ قَالَ: إِنِّي أَسْأَلُكَ عَنْ أَشْيَاءَ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ وَصِيُّ نَبِيٍّ.

فَقَالَ عليه السلام: سَلْ، يَا يَهُودِيُّ! فَأُنَبِّئَكَ بِهِ. قَالَ: أَخْبِرْنِي عَمَّا لَيْسَ لِلَّهِ؟ وَعَمَّا لَيْسَ عِنْدَ اللَّهِ؟ وَعَمَّا لَا يَعْلَمُهُ اللَّهُ؟

قَالَ عليه السلام: أَمَّا قَوْلُكَ عَمَّا لَيْسَ لِلَّهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ شَرِيكٌ، وَأَمَّا قَوْلُكَ عَمَّا لَيْسَ عِنْدَ اللَّهِ، فَلَيْسَ عِنْدَ اللَّهِ ظُلْمٌ لِلْعِبَادِ، وَ أَمَّا قَوْلُكَ عَمَّا لَا يَعْلَمُهُ اللَّهُ، فَذَلِكَ قَوْلُكُمْ إِنَّ عُزَيْراً ابْنُ اللَّهِ، وَ اللَّهُ لَا يَعْلَمُ أَنَّ لَهُ وَلَداً. فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنَّكَ وَصِيُّهُ.

فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ فَقَبَّلُوا رَأْسَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام وَقَالَ: يَا مُفَرِّجَ الْكُرُوبِ. (٣٦)

- إِرْشَادُ الْقُلُوبِ(٣٧) :-بِحَذْفِ الْأَسَانِيدِ أَيْضاً- مَرْفُوعاً إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَدِمَ يَهُودِيَّانِ أَخَوَانِ مِنْ رُؤُوسِ الْيَهُودِ، فَقَالا: يَا قَوْمُ! إِنَّ نَبِيَّنَا حَدَّثَنَا أَنَّهُ يَظْهَرُ بِتِهَامَةَ رَجُلٌ يُسَفِّهُ أَحْلَامَ الْيَهُودِ، وَيَطْعُنُ فِي دِينِهِمْ، وَنَحْنُ نَخَافُ أَنْ يُزِيلَنَا عَمَّا كَانَتْ عَلَيْهِ آبَاؤُنَا، فَأَيُّكُمْ هَذَا النَّبِيُّ؟. فَإِنْ كَانَ الْمُبَشِّرَ بِهِ دَاوُدُ آمَنَّا بِهِ وَاتَّبَعْنَاهُ، وَإِنْ كَانَ يُورِدُ الْكَلَامَ عَلَى إِبْلَاغِهِ وَيُورِدُ الشِّعْرَ وَيَقْهَرُنَا جَاهَدْنَاهُ بِأَنْفُسِنَا وَأَمْوَالِنَا، فَأَيُّكُمْ هَذَا النَّبِيُّ؟. فَقَالَ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ: إِنَّ نَبِيَّنَا قُبِضَ.

فَقَالا: الْحَمْدُ لِلَّهِ، فَأَيُّكُمْ وَصِيُّهُ؟ فَمَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيّاً إِلَى قَوْمٍ إِلَّا وَلَهُ وَصِيٌّ يُؤَدِّي مِنْ بَعْدِهِ وَيَحْكُمُ مَا أَمَرَهُ بِهِ رَبُّهُ، فَأَوْمَأَ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ.

فَقَالُوا: هَذَا وَصِيُّهُ. فَقَالا لِأَبِي بَكْرٍ: إِنَّا نُلْقِي عَلَيْكَ مِنَ الْمَسَائِلِ مَا يُلْقَى عَلَى

(٣٦). بحار الأنوار (ط - بيروت) ؛ ج٢٠ ؛ ص٩٤

(٣٧). ارشاد القلوب ٣- ١٠٨- ١١٣[و في طبعة آخرب: ٣- ٢١١] سؤال اليهودي أبا بكر وعجزه عن جوابه، باختلاف يسير.

الْأَوْصِيَاءِ، وَنَسْأَلُكَ عَمَّا يُسْأَلُ الْأَوْصِيَاءُ عَنْهُ؟. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَلْقِيَا، سَأُخْبِرُكُمَا عَنْهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

وحينما سالوا أسالتهم بَقِيَ أَبُو بَكْرٍ لَا يَرُدُّ جَوَاباً، فَأَتَيْ ابن عباس إلى مَنْزِلَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ فَاستغاث به فَتَبَسَّمَ عَلِيٌّ ﷺ ضَاحِكاً، ثُمَّ قَالَ:

هُوَ الَّذِي وَعَدَنِي بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. وأَخَذَ يَمْشِي أَمَامِي فَمَا أَخْطَأَتْ مِشْيَتُهُ مِشْيَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى قَعَدَ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي كَانَ يَقْعُدُ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى الْيَهُودِيَّيْنِ.

فَقَالَ: يَا يَهُودِيَّانِ! ادْنُوَا مِنِّي وَأَلْقِيَا عَلَيَّ مَا أَلْقَيْتُمَا عَلَى الشَّيْخِ.

و بعد أن اجابهم بالجواب الشافى الكافى َفَقَالَ الْيَهُودِيَّانِ:

نَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، وَ أَنَّكَ وَصِيُّ مُحَمَّدٍ حَقّاً. وَ أَسْلَمَا وَحَسُنَ إِسْلَامُهُمَا، وَلَزِمَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ فَكَانَا مَعَهُ حَتَّى كَانَ مِنْ أَمْرِ الْجَمَلِ مَا كَانَ، فَخَرَجَا مَعَهُ إِلَى الْبَصْرَةِ، فَقُتِلَ أَحَدُهُمَا فِي وَقْعَةِ الْجَمَلِ، وَبَقِيَ الْآخَرُ حَتَّى خَرَجَ مَعَهُ إِلَى صِفِّيْنَ فَقُتِلَ. (٣٨)

- إِرْشَادُ الْقُلُوبِ [٣٦] :- بِحَذْفِ الْإِسْنَادِ- مَرْفُوعاً إِلَى الصَّادِقِ ﷺ قَالَ: لَمَّا بَايَعَ النَّاسُ عُمَرَ بَعْدَ وَفَاةِ أَبِي بَكْرٍ أَتَاهُ رَجُلٌ مِنْ شُبَّانِ الْيَهُودِ- وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ- فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَالنَّاسُ حَوْلَهُ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! دُلَّنِي عَلَى أَعْلَمِكُمْ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَبِكِتَابِهِ وَسُنَّتِهِ؟. فَأَوْمَأَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ، فَقَالَ: هَذَا. فَتَحَوَّلَ الرَّجُلُ إِلَى عَلِيٍّ ﷺ فَسَأَلَهُ: أَنْتَ كَذَلِكَ؟.

قَالَ: نَعَمْ.

وبعد عرض اسالته وأخذ الجواب قالَ الْفَتَى:

صَدَقْتَ، فَوَ اللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنَّهُ لَمَكْتُوبٌ عِنْدِي بِإِمْلَاءِ مُوسَى وَخَطِّ هَارُونَ بِيَدِهِ...

قَالَ: فَصَرَخَ الْفَتَى وَقَطَعَ كُسْتِيجَهُ وَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ.[٤٠]

- كِتَابُ صَفْوَةِ الْأَخْبَارِ: عَنْ أَبِي إِسْمَاعِيلَ، عَنْ أَبِي نُونٍ، قَالَ: لَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ الْمَدِينَةَ رَجُلٌ مِنْ أَوْلَادِ دَاوُدَ ﷺ عَلَى دِينِ الْيَهُودِ، فَوَجَدَ النَّاسَ مُتَفَزِّعِينَ مَغْمُومِينَ، فَقَالَ: مَا شَأْنُكُمْ؟. قَالُوا: تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: أَمَا إِنَّهُ تُوُفِّيَ فِي الْيَوْمِ الَّذِي هُوَ مَذْكُورٌ فِي كِتَابِنَا، ثُمَّ قَالَ: أَرْشِدُونِي إِلَى خَلِيفَةِ نَبِيِّكُمْ. قَالُوا: تَنْتَظِرُ قَلِيلًا حَتَّى نُرْشِدَكَ إِلَى مَنْ يُخْبِرُكَ بِمَا تَسْأَلُ، فَأَقْبَلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ مِنْ بَابِ الْمَسْجِدِ، فَقَالُوا:

عَلَيْكَ بِهَذَا الْغُلَامِ فَإِنَّهُ يُخْبِرُكَ عَمَّا تَسْأَلُ. فَقَامَ إِلَيْهِ وَ قَالَ لَهُ: أَ أَنْتَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي

(٣٨). مجلسي، محمد باقر بن محمد تقى، بحار الأنوار (ط - بيروت) ج٢٠ ؛ ص٩١

(٣٩). إرشاد القلوب ٣- ١٠٨-١٠٩[و في طبعة أخرب:٣-٢١٤].

(٤٠). بحار الأنوار (ط - بيروت) ؛ ج٢٠ ؛ ص٨٤

طَالِبٍ عليه السلام؟.

فَقَالَ: نَعَمْ، يَرْحَمُكَ اللَّهُ، وَأَخَذَ بِيَدِهِ وَأَجْلَسَهُ.

وَ قَالَ: أَرَدْتُ أَنْ أَسْأَلَ هَؤُلَاءِ عَنْ أَرْبَعَةِ حُرُوفٍ فَأَرْشَدُونِي إِلَيْكَ، فَعَنْ إِذْنِكَ أَسْأَلُكَ؟.

فَقَالَ لَهُ: سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ، فَإِنِّي أُخْبِرُكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

وبعد أخذ الجواب عن مسائله قَالَ الدَّاوُدِيُّ:

وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُهُ فِي كِتَابِ دَاوُدَ عليه السلام، وَ لَقَدْ صَدَقْتَ، وَإِنَّا مُتَوَارِثُوهُ وَاحِدٌ عَنْ وَاحِدٍ حَتَّى وَصَلَ إِلَيَّ، فَأَخْرَجَ كِتَاباً فِيهِ مَسْطُورٌ مَا ذُكِرَ.

ثُمَ قَالَ: مُدَّ يَدَكَ أُجَدِّدْ إِسْلَامِي، ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ إِنَّكَ خَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ تَعَالَى. وَعَلَّمَهُ دِينَهُ وَشَرَائِعَ الْإِسْلَامِ، وَقَدْ أَسْلَمَ وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ. (٤١)

(٤١). بحار الأنوار (ط - بيروت) ؛ ج٢٠ ؛ ص٨٨

- الكافى: الْعِدَّةُ، عَنِ الْبَرْقِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْقَاسِمِ، عَنْ حَنَانِ بْنِ السَّرَّاجِ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ سُلَيْمَانَ الْكِسَائِيِ، عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ، قَالَ: شَهِدْتُ جِنَازَةَ أَبِي بَكْرٍ يَوْمَ مَاتَ، وَشَهِدْتُ عُمَرَ حِينَ بُوِيعَ وَعَلِيٌّ عليه السلام جَالِسٌ نَاحِيَةً، فَأَقْبَلَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ جَمِيلُ الْوَجْهِ، بَهِيٌّ، عَلَيْهِ ثِيَابٌ حِسَانٌ- وَهُوَ مِنْ وُلْدِ هَارُونَ- حَتَّى قَامَ عَلَى رَأْسِ عُمَرَ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! أَنْتَ أَعْلَمُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِكِتَابِهِمْ وَأَمْرِ نَبِيِّهِمْ؟

قَالَ: فَطَأْطَأَ عُمَرُ رَأْسَهُ، فَقَالَ: إِيَّاكَ أَعْنِي .. وَأَعَادَ عَلَيْهِ الْقَوْلَ.

فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: لِمَ ذَاكَ؟

قَالَ: إِنِّي جِئْتُكَ مُرْتَاداً لِنَفْسِي، شَاكّاً فِي دِينِي. فَقَالَ: دُونَكَ هَذَا الشَّابَّ.

قَالَ: وَمَنْ هَذَا الشَّابُّ؟.

قَالَ: هَذَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، وَهَذَا أَبُو الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ ابْنَيْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، وَ هَذَا زَوْجُ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، فَأَقْبَلَ الْيَهُودِيُّ عَلَى عَلِيٍّ عليه السلام فَقَالَ: أَ كَذَلِكَ أَنْتَ؟!

فَقَالَ:نَعَمْ.

قَالَ: إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْ ثَلَاثٍ وَثَلَاثٍ وَوَاحِدَةٍ.

وبعد جواب الإمام عن مسائله

فَصَاحَ الْهَارُونِيُّ وَقَطَعَ كُسْتِيجَهُ، وَهُوَ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صلى الله عليه وآله، وَأَنَّكَ وَصِيُّهُ، يَنْبَغِي أَنْ تَفُوقَ وَلَا تُفَاقَ، وَأَنْ تُعَظَّمَ وَلَا تُسْتَضْعَفَ.

قَالَ: ثُمَ مَضَى بِهِ عَلِيٌّ عليه السلام إِلَى مَنْزِلِهِ فَعَلَّمَهُ مَعَالِمَ الدِّين (٤٢)

(٤٢). أصول الكافي ١- ٥٥٥- ٥٥٤ حديث ٤ باب ١٣٤ منكتاب الحجة[١- ٤٢٨- ٤٣٠ الطبعة الثّالثة من الإسلاميّة] باختصار في الإسناد على دأبه.

ويجد المتتبع الكثير من هذه النماذج وهي باجمعها تحكي قصة رحلة إيمانيه لم يستطع أن يزعزعه شيء فكان ثابتاً مستقراً، مع أن هولاء لم يكن إيمانهم لأجل معجزة شاهدوها ولم يسمعوا حديث يوم الدار ولا علموا ببيعة غدير خم ولا شاهدوا الأحداث في السقيفه ولم يسمعوا عن رسول الله ﷺ أن علياً هو أعلم الناس بعدي ولا أنه باب مدينة علمه ولا كل ذلك، وإنما شاهدوا العلم الإلهي الذي ينطوي عليه صاحب الولاية الكبرى فآمنوا به عياناً. وإيمانهم هذا صار أشد وأقوى من إيمان غيرهم ممن كان إيمانهم لأجل نظريات سمعوا بها وشاهدوها.

والغريب أن الزبير الذي كان مع رسول الله ﷺ وشهد هذه المواطن كلها ووصاه الرسول بأمير المومنين وحذره من مخالفته زل وضل وانحرف وسل سيفه على المولى عليه السلام وصار في معركة الجمل من قادة الجيش المعادي، بينما ذاك الكافر الذي لم ير ولم يسمع ما رآه وسمعه زبير من رسول الله ﷺ ولم يشاهد تلك المشاهد كلها ولم يحذره النبي ﷺ عن مخالفة علي عليه السلام، لكنه تذوق بوجدانه وارتوى من نمير علوم المولى عليه السلام، ثبت معه وكان في الجمل مع أمير المؤمنين عليه السلام يقاتل الزبير.

ومن هنا يعرف الفرق بين النمطين من الإيمان وأن الدعوة إلى الإيمان الثابت لابد وأن تكون مؤسسة على أساس الثاني كما هكذا دعا القرآن، ويظهر سر تأكيد القرآن على شهادة من عنده علم الكتاب في عرض شهادة الله تعالى.

البترية ونظرهم إلى علوم أمير المومنين عليه السلام

إنّ البُتريّة جماعة خلطوا ولاية اهل البيت عليهم السلام مع ولاية أصحاب السقيفة، وقد انشعبوا من التيار الزيدي ولأجل رفضهم التبرّي من أعداء فاطمة عليها السلام قال لهم زيد بن على فقيه أهل البيت في محضر أخيه الإمام الباقر عليه السلام : «بترتم أمرنا بتركم اللّه»[٤٣] فيومئذ سمّوا البتريّة.

(٤٣). من لايحضره الفقيه ، الشيخ الصدوق: ٤/ ٤٤٤ ،واختيار معرفة الرجال، الشيخ الطوسي: رقم: ٤٢٤.

وهم الذين كانوا يستصغرون علوم أهل البيت عليهم السلام في جنب علوم غيرهم ويرون أنفسهم منفتحين فى أخذ العلوم والمعارف من كلّ أحد، وكانوا دعاة الوحدة والتقريب وأنكروا إظهار التبرّي عن منهج السقيفة.

ومن رواد البتريّة الحكم بن عتيبة، وسلمة بن كهيل، وكثير النواء، وأبو المقداد ثابت بن حداد، وسالم بن أبي حفصة. والمنهج البتري منهج تلفيقى مزيجى

التقاطي، وهو نموذج من نماذج وألوان النفاق فى الإيمان. ولهم معالم كثيرة؛ فمن جملة معالمهم أنّهم كانوا دعاة الإصلاح وأرادوا لمّ الشعث بين المسلمين كافّة، ومن معالمهم أنّهم دعاة التقريب والوحدة.

ومن جملة معالمهم أنّهم رغم اعترافهم بفضل أهل البيت عليهم السلام إلا أنّهم ما كانوا يعترفون بمقاماتهم الملكوتيّة وأنّهم خزّان علم اللّه وأنّ جميع العلوم تنحدر من صافى عيونهم، فكانوا يطلبون العلم من هنا وهناك ويستصغرون علوم أهل البيت في جنب علوم غيرهم.[٤٤]

(٤٤). راجع ما كتبته فى كتاب جدليه الدين والفلسفه ج ٢ ص ٤٥ - ٣٢.

ومن اجل ذلك انفصلوا عن المذهب فصار ايمانهم مستودعا.

أخبرنا محمد بن جعفر قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن سعيد عن محمد بن أحمد بن الحسن عن عباد بن ثابت عن أبي مريم عبد الغفار بن القاسم عن عذافر الصيرفي قال: كنت مع الحكم بن عتيبة عند أبي جعفر عليه السلام فجعل يسأله وكان أبو جعفر [عليه السلام] له مكرما فاختلفا في شيء فقال أبو جعفر [عليه السلام]: يا بني قم! فأخرج كتاب علي فأخرج كتاباً مدروجاً عظيماً وفتحه (ففتحه) وجعل ينظر حتى أخرج المسألة، فقال أبو جعفر [عليه السلام]: هذا خط علي عليه السلام وإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله، وأقبل على الحكم وقال: يا أبا محمد! اذهب أنت وسلمة وأبو المقدام حيث شئتم يميناً وشمالاً فو الله لا تجدون العلم أوثق منه عند قوم كان ينزل عليهم جبرئيل عليه السلام. [٤٥]

(٤٥). رجال النجاشي / ٢١٠ / ٨١١ محمد بن عذافر بن عيسى الصيرفي المدائن ..... ص : ٢٤٨

ومن ذلك ورد الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله في خطبته : «إن اللّه عز وجل أنزل عليّ القرآن، وهو الذي من خالفه ضلّ ومن ابتغى علمه عند غير علي هلك -إلى أن قال-: ومن طلب الهدى في غيرهم (يعني أهل بيته) فقد كذّبني»[٤٦].

(٤٦). بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٨٣ / ٤٤.

وهو مما يقتضيه حديث الثقلين، فكما أن هناك مراتب متعددة في التمسك بالثقلين شدةً وضعفاً، كذلك هناك مساحات مختلفه في التمسك بهما، والنبي صلى الله عليه وآله فرض التمسك بهما في جميع المجالات ففي كل مساحة تمسك الباحث بهما يضمن له العصمة من الضلاله، ومن تركهم في مساحة من المساحات فسوف لايكون في امان عن الضلالة فيها بمقتضى القضية الشرطية في الحيث (ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً).

بين القراءة الظنية والقراءة العقلية لروايات الحكمة الإلهية

إنّ غالب الروايات الواردة في أبواب المعارف والعقائد مشتملة على أسرار وفذلكات دقيقة ترشدنا إلى أدلّة عقليّة برهانيّة، فالتدبّر والتفكّر فيها مثير لدفائن العقول.

وقد فاضت الآيات القرآنيّة والروايات أنها وصفت الكتاب والسنه بالبيان والتبيان والبينات والذكر والتذكره والبصيره والتبصره والبصائر والهدايه والنور والفرقان وغيرها من الأوصاف.

وهي بأجمعها في صدد بيان مقام للقرآن والسنّة يغاير مقام الحجيّة التعبديّة، وهو مقام التعليم والتذكير وإثارة دفائن العقول. فإنّ خطابه تعالى في هذه الآيات متوجّه إلى جميع الناس لاخصوص من آمن كي تصحّ الحجيّة التعبديّة والطاعة المولويّة.

وهذ المقام ـ مقام التعليم والتذكير وإثارة دفائن العقول ـ هو لفت الإنتباه بالدلائل والبيّنات، وهو يغاير مقام الولاية والطاعة الذي ينحصر بالحجيّة التعبديّة، إنّما هو مقام بيان الحجّية العلميّة.

ومن ذلك يتبيّن أنّ أحد وجوه حجيّة القرآن -بل من عظائم حججه- تكمن في الأدلّة والبراهين المطويّة في بيّناته، لامن جهة قطعيّة صدوره وسنده كي يؤخذ بها تعبّداً، وهكذا الحال في روايات وأحاديث المعارف، فإنّ حجيّتها لاتنحصر من جهة اعتبار صدورها بل لما تتضمّنه من بيانات حكميّة وبراهين عقليّة ودلالات علميّة.

ومن هنا يظهر الإشكال فيما يقال ان كثيرا من تلك الروايات اخبار احاد ظنيه لاتوجب العلم ولايمكن الركون اليها فى العقائد، فإنه -مع الغض عن ان قسمام وافرا منها واصله الينا بالتواتر المعنوى الذى هو اقوى من التواتر اللفظى- انما يكون فى الحجيه الظنية فى القرائه التعبدية دون الحجية العلمية في القرائة العقلية.

ألاترى أنّ في البحث الاعتقادي والمعرفي والعقلى وغيرها من المباحث يستعرض أقوال نوابغ ذلك العلم، فالباحث الفلسفي لايرضى بأن يمرّ على أقوال الفلاسفة المتقدّمين مرور الكرام، بل يرى على نفسه حتماً أن يستعرضها ويتدبّر فيها بغضّ النظر عن صحّة انتساب تلك الكتب والأقوال إلى أصحابها، بل يتمركز البحث والدراسة حول مضمون تلك الأقوال والمقالات، وكذلك في سائر العلوم والفنون.

فكيف الحال للباحث عن معرفة المبدأ والمعاد مع أقوال منسوبه إلى ولاة الملكوت وخزّان مفاتيح الغيب الإلهي حتى ولو لم يثبت بالحجيه التعبديه صحه الانتساب. فإن هذه الأقوال محتمل الصدور ممّن اطلعهم اللّه على خفايا وبواطن الأمور وأسرار الملك والملكوت، وقد حمّلهم عرشه وعلمه ودينه، بل إنّ الشأن الأعظم لهم هو إثارة العقول والتعليم والتذكير.

فكما أنّ درجة الاحتمال مؤثّرة في درجة التنجيز، فكذلك درجة المحتمل. فكيف

أنّ العقل يحكم بلزوم النظر في أقوال محتملة صدورها عن بعض مفكّري البشر مع وضوح قصورهم وتقصيرهم، ولايحكم بنحو اللزوم بضرورة الفحص والتنقيب والإستقصاء في مضامين الأبواب الروائيّة وإطالة التعمّق والغور في بياناتها ودلائل مضامينها، بغية أن يرانا اللّه تبارك وتعالى ونحن مهتمّين بأقوال ولاة أمره ـ حتى فيما يحتمل صدوره عنهم ـ وما فيها من دلائل وإشارات وإرشادات، فيمنّ علينا وينوّر قلوبنا بنور العلم واليقين.

فمن الغفلة والسطحيه وعدم التحقيق ما يرى من التساهل والتهاون بالنسبة إلى أخبار خزنة علم اللّه ممّا لايرى بالنسبة إلى كلمات غيرهم بحجه انها لم تكتمل فيها نصاب الحجيه التعبديه من حيث السند.[٤٧]

(٤٧). راجـــع مـا كتبناه تقريراً لأبحاث شيخنا الأستاذ محمد السند بعنوان : الإجتهاد والتقليد في علم الرجال وأثره في التراث العقائدي : ٢١٤ و ٢٦٤ و ٢٦٢ ، وكـذا : الغلو والـفـرق الباطنيّة : الفصل الأوّل.

كسراب بقيعة

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾﴾[سورة النور] هذا هو صفة الباطل فهو يريك أنه ماء لكنه حينما أتيته لم تجده شيئاً، أما الحق فهو على خلافه فحينما تاتيه تجده عذباً نقياً فراتاً.

والموسف جداً أن بعض الاتجاهات تتوجه من حيث لا يشعر إلى إيجاد هذا الانطباع عن الحق ومدرسة أمير المومنين وأولاده المعصومين عليهم السلام، وهذا أمر خطير غايته يسترعي الانتباه. فترى أنه في مرحلة النظريات كثيراً ما يتكلم عن أن علياً هو أعلم الناس وأنه باب مدينة علم الرسول وأن إمامته ليست فقط رئاسة دنيويه على قطعة أرض وغير ذلك مما هو ثابت من مناصب مولانا أمير المومنين عليه السلام.

لكنه حينما أتاه الإنسان فأراد الارتواء من هذا العذب يرجعونه إلى منابع أخرى غير أمير المومنين وأولاده المعصومين عليهم السلام. سواء ذلك في مقام دعوة الملحدين إلى الإيمان أو معرفة البراهين العقلية في معرفة المبدأ والمعاد ومباحث القضاء والقدر ومعرفة الجنة والنار وبدء الخلق ومنتهاه، أو في الأداب والأخلاق والسلوكيات، أو في الحياة السياسي والنظم الاجتماعي. فلا يبقى مرجعية لأهل البيت عليهم السلام إلا في بعض الفروع الفقهية لخصوص المجتهدين. وهذه هي الطامة الكبرى التي يسبب في سلب الإيمان عن الإنسان حيث يري الحق سراباً.

وفي الحقيقة هذه سقيفة ملكوتيه وهي أخطر بمراتب عديدة عن السقيفة الملكية حيث في الأخير أزوي أمير المومنين ﷺ عن منصبه الظاهري واما في الاولى فهو يزوى عن مناصبه الملكوتيه العلميه.

* * * *

وفاء العراقيين لأمير المؤمنين عليه السلام

السيد سامي البدري

انطلق العراقيون -حين تم الصلح بين الحسن عليه السلام ومعاوية وتحقق الأمان والحرية الفكرية عشر سنوات[٤٨]- يحملون رسالتهم لأهل الشام يعرِّفونهم بسيرة علي عليه السلام، وبأحاديث النبي صلى الله عليه وآله فيه وفي أهل بيته ، وقد كانوا محجوبين عن هذه السيرة أيام الحرب ، وأيام الخلافة القرشية .

ثم تحول بلاط معاوية نفسه في هذه السنوات إلى منبر تذكر فيه سيرة علي وخصائصه.

وكان مما نقله العراقيون لأهل الشام من سيرة علي عليه السلام ما ذكره ضرار بن ضمرة ، حين طلب منه معاوية أن يصف له علياً عليه السلام ، وكان وصافاً بليغاً .

روى أبو عمر بن عبد البر في كتاب الاستيعاب قال : قال معاوية لضرار الضبابي: يا ضرار صف لي علياً ، قال: اعفني يا أمير المؤمنين ، قال: لتصفنه ، قال: أما إذ لابد من وصفه:

كان واللهِ بعيدَ المدى، شديدَ القِوى، يقول فصلاً، ويحكم عدلاً، يتفجَّرُ العلمُ من جوانبِه ، وتنطِقُ الحِكمَةُ من نواحيه، يستوحشُ من الدنيا وزَهرتها، ويأنسُ بالليلِ ووحشتِه، وكان غزيرُ العَبرة، طويلُ الفكرة، يُعجِبُه من اللِّباس ما قَصُر، ومن الطعام ما خَشُن.

كان فينا كأَحِدِنا، يجيبُنا إذا سألناه، وينبئُنا إذا استفتيناه، ونحن واللهِ مع

(٤٨). الرؤية المشهورة عن سنوات الصلح العشر أنها سنوات خوف وتهجير وسجن، غير أننا تتبعنا من روعهم أو هجرهم أو سجنهم أو قتلهم معاوية فوجدناه قد تم بعد وفاة الحسن عليه السلام وأن سنوات الصلح تلك كانت آمنة وفيها استطاع شيعة علي عليه السلام من نشر سيرة علي عليه السلام وأحاديثه بين أهل الشام وغيرهم ، وقد فصلنا ذلك في كتابنا عن الإمام الحسن عليه السلام نرجو أن نوفق لإكماله.

تقريبِه إيانا وقُربِه منّا لا نكاد نكلِّمه هيبةً له.
يعظِّم أهلَ الدين ويُقرِّب المساكين .
لا يطمع القَويُّ في باطله، ولا ييئَسُ الضعيفُ من عدله،
وأشهدُ لقد رأيتُه في بعض مواقفه، وقد أرخى الليلُ سدولَه، وغارت نجومَه، قابضاً على لحيته، يتململُ تململَ السَّليم، ويبكي بكاء الحزين، ويقول: يا دنيا غُرِّي غيري، أبي تَعرضَّتِ أمْ إليَّ تَشوَّفتِ.
هيهات هيهات قد باينتُك ثلاثاً لا رجعة لي فيها، فعُمرك قصير وخطرك حقير.
آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق.
فبكى معاوية وقال : رحم الله أبا حسن كان والله كذلك، فكيف حزنك عليه يا ضرار؟
قال: حزن من ذُبح ولدها في حجرها.(انتهى)
أدرك أهل الشام من خلال ذلك أن معاوية كان ظالماً لعلي عليه السلام في حربه إياه وتشويه سيرته.
ولم تطب نفس معاوية بذلك، ولا بانتشار أخبار سيرة علي عليه السلام المشرقة، فخطط لتطويق ذلك وتطويق النهضة الفكرية التي أوجدها وقام بها علي عليه السلام، بل خطط للقضاء عليها، ومعنى ذلك هو التخطيط تصفية التشيع في العراق مهما تطلب ذلك من ثمن.

محنة العراقيين على عهد معاوية بعد وفاة الحسن عليه السلام

غدر معاوية بالحسن عليه السلام، فدس له السم بعد عشر سنوات، ونقض كل شروطه، وأعلن عن سياسته الجديدة التي تقوم على عدم ذكر علي عليه السلام بخير، والأمر بلعنه والبراءة منه بصفته ملحداً في الدين وتتبع شيعته وسجنِهم وقتلِهم وتهجيرِهم ونفيِهم.
وقد روي عن الامام الباقر عليه السلام يصف محنة الشيعة بعد وفاة الحسن عليه السلام قال: فقتلت شيعتنا بكل بلدة وقطعت الأيدي والأرجل على الظِّنة، وكان من يُذكر بحبنا والانقطاع إلينا سُجن أو نُهب ماله أو هُدمت داره، ثم لم يزل البلاء يشتد ويزداد إلى زمان عبيد الله بن زياد قاتل الحسين عليه السلام.
وقال المدائني: وكان أشد الناس بلاءاً حينئذ أهل الكوفة، لكثرة من بها من شيعة علي عليه السلام، فاستعمل عليهم زياد بن سمية ، فكان يتتبع الشيعة، فقتلهم تحت كل حجر ومدر وأخافهم، وقطَّع الأيدي والأرجل ، وسمَّل العيون، وصلَّبهم

على جذوع النخل، وطرَّدهم وشرَّدهم عن العراق، فلم يبق بها معروف منهم.

وروى أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي في كتابه (المنتظم): أن زياداً لما حصبه أهل الكوفة، وهو يخطب على المنبر، قطع أيدي ثمانين منهم، وهمَّ أن يخرِّب دورهم ، ويجمِّر نخلهم[١٤]، فجمعهم حتى ملأ بهم المسجد والرحبة، يعرضهم على البراءة من علي عليه السلام، وعلم أنهم سيمتنعون، فيحتج بذلك على استئصالهم ، وإخراب بلدهم.

قال عبد الرحمن بن السائب الأنصاري: فإني لمع نفر من قومي، والناس يومئذ في أمر عظيم، إذ هوَّمتُ تهويمة (نمت قليلا)، فرأيت شيئا أقبل ، طويل العنق، مثل عنق البعير أهدر أهدل، فقلت: ما أنت ؟ فقال: أنا النقاد ذو الرقبة، بعثت إلى صاحب هذا القصر، فاستيقظت فزعاً، فقلت لأصحابي: هل رأيتم ما رأيت ؟ قالوا: لا ، فأخبرتهم ، وخرج علينا خارج من القصر، فقال: انصرفوا، فإن الأمير يقول لكم: إني عنكم اليوم مشغول ، وإذا بالطاعون قد ضربه.

ثم اشتدّت المحنة لما نهض الحسين عليه السلام وبذل الكوفيون النصرة له وتعاقدوا معه على حمايته، ومقاومة طغيان بني أمية، تعاقدوا معه كما تعاقد أهل المدينة من قبل على حماية النبي صلى الله عليه وآله، ومقاومة طغيان قريش ، وشاء الله تعالى أن يسجن آلاف الشيعة ، وتقطع الطرق ، ويحاصر الحسين عليه السلام ومن معه من أهل بيته والصفوة من شيعته ، ثم يقتلوا بتلك القتلة الشنيعة بعد أن رفض الحسين عليه السلام أن يبايع ليزيد، ويقره على سياسة أبيه الماحقة للدين.

محنة العراقيين أيام الزبيريين

بعد موت يزيد نهض شيعة علي عليه السلام في الكوفة ، ليواصلوا خطة الحسين عليه السلام في إقامة دولة الكوفة لحماية مدرسة علي عليه السلام وأحاديث النبي صلى الله عليه وآله التي تبين موقعه من الإسلام، ثم الإطاحة بطغمة بني أمية في الشام الذين كانت رسالتهم طمس مدرسة علي عليه السلام وتصفية شيعته، وقامت دولة المختار رحمه الله، وانطلقت البقية الباقية من أصحاب علي عليه السلام ، وبقية أصحاب النبي صلى الله عليه وآله الموالين له يثقفون الجيل المحروم من ثقافة مدرسة علي عليه السلام .

ولم يرُق لابن الزبير ان تنبعث مدرسة علي عليه السلام من جديد على حساب مملكته وأطروحته القرشية في الحكم ، فكان أكبر همِّه أن يقضي على دولة المختار ، وتم له ما أراد على يد أخيه مصعب بعد معارك ضارية مع المختار انتهت بسقوطه شهيداً رحمه الله على منهاج علي والحسين عليهما السلام.

دشَّن مصعب عهده في الكوفة بقتل سبعة آلاف شخص من أصحاب المختار، كانوا قد حُصروا في القصر واستأمنهم مصعب، ثم غدر بهم وقتلهم في يوم واحد، ولما عاتبه عبد الله بن عمر على ذلك قائلاً له أنت القاتل سبعة آلاف من أهل القبلة في غداة واحدة ؟ أجابه مصعب: إنهم كانوا كفرة سحرة. فقال ابن عمر: والله لو قتلتَ عِدتهم غنماً من تراث أبيك لكان ذلك سَرَفا.

ثم عرض مصعب على زوجتي المختار البراءة من المختار، فرفضتا قائلتين: كيف نبرأ من رجل قام ليله وصام نهاره؟

واستفتى أخاه عبد الله بن الزبير فقال أعرضهما على السيف فإن تبرأتا وإلا فاقتلهما.

فتبرأت إبنة سمرة بن جندب خوفاً، واستقبلت الشهادة إبنة النعمان بن بشير قائلة: شهادة أرزقها فأتركها ؟ كلا ! إنها موتة، ثم الجنة والقدوم على الرسول وأهل بيته، اللهم اشهد أني متبعة لنبيك وابن بنته وأهل بيته وشيعته، ثم قدمها فقتلت صبراً.

ثم استمر حكم الزبيريين للعراق خمس سنوات شوّهوا خلالها شخصية المختار، وتجربته، واتهموه بادعائه النبوة وزيارة جبرئيل له، ليبغضوه إلى الناس، ويسوغوا اتهامه بالكذب.

محنة العراقيين أيام المروانيين

انتهت دولة ابن الزبير الظالمة على يد عبد الملك بن مروان سنة ٧٣ هـ ، وولي العراق سنة ٧٥ هـ الحجاج بن يوسف الثقفي، وتبنى عبد الملك سياسة معاوية في لعن علي عليه السلام، ونفذها بقسوة، واكمل شوط مصعب في ملاحقة مدرسة علي عليه السلام ، وتصفية شيعته.

استهل الحجاج عهده مع الكوفيين سنة ٧٥ هـ بقوله: (.. إنكم أهل بغي وخلاف وشقاق ونفاق ، طالما أوضعتم في الضلال وسننتم سنن البغي).

ثم أمره عبد الملك بعد ثورة ابن الأشعث عليه: بأن يدعوُ الناس إلى البيعة ، فمن أقر بالكفر اخلى سبيله.

وكتب عبد الملك إلى الحجاج أيضا: (أنْ جمِّر [٤٩] أهل العراق، وتابع عليهم البعوث، واستعن عليهم بالفقر ، فإنه جند الله الأكبر). ففعل ذلك بهم سنتين.

قال الإمام الباقر عليه السلام وهو يذكر محنة الشيعة في عهد الحجاج: (ثم جاء الحجاج فقتلهم كل قتلة وأخذهم بكلِّ ظِنَّة وتُهمة حتى إن الرجل ليقال له زنديق أو

(٤٩). تجمير الجند: ابقاؤهم في أرض العدو وهو منهي عنه في الإسلام (لسان العرب).

كافر أحب إليه من أن يقال شيعة علي (عليه السلام).

وتتبع الحجاج العراقيين في كل مكان خارج العراق.

روى ابن سعد في الطبقات الكبرى قال: خرج عطية بن سعد بن جنادة [٥٠] مع ابن الأشعث على الحجاج فلما انهزم جيش بن الأشعث هرب عطية إلى فارس فكتب الحجاج إلى محمد بن القاسم الثقفي أن ادع عطية فإن لعن علي بن أبي طالب (عليه السلام) وإلا فاضربه أربعمائة سوط واحلق رأسه ولحيته ، فدعاه فأقرأه كتاب الحجاج، فأبى عطية أن يفعل فضربه أربعمائة وحلق رأسه ولحيته.

قال اليعقوبي: وكتب الوليد إلى خالد بن عبدالله القسري، عامله على الحجاز، يأمره بإخراج من بالحجاز من أهل العِراقين، وحملهم إلى الحجاج بن يوسف، فبعث خالد إلى المدينة عثمان بن حيان المري لإخراج من بها من أهل العراقين، فأخرجهم جميعاً، وجماعاتهم في الجوامع إلى الحجاج، ولم يترك تاجراً ولا غير تاجر، ونادى: ألا برئت الذمة ممن آوى عراقياً، وكان لا يبلغه أن أحداً من أهل العراق في دار أحد من أهل المدينة إلا أخرجه.

ثم اشتدت محنتهم لما قاموا مع زيد (رحمه الله) أيام هشام وانتقم منهم يوسف بن عمر واليه على العراق أشد انتقام.

قال البلاذري: وبعث يوسف بن عمر إلى أم إمرأة لزيد بن علي بن الحسين (عليهما السلام) أزدية فهدم دارها وحملت إليه، وأمر أن تشق عليها ثيابها فجلدها بالسياط فماتت ثم أمر بها فأُلقيت في العراء فسرقها قومها ودفنوها في مقابرهم.

وأخذ إمرأة قوَّت زيداً على أمره فأمر بها أن تقطع يدها ورجلها... وضرب عنق زوجها.

وضرب إمرأة أشارت على أمها أن تؤوي إبنة لزيد خمسمائة سوط.

وهدم دوراً كثيرة.

وأُتِيَ يوسف بعبد الله بن يعقوب السلمي من ولد عتبة بن فرقد وكان زوَّجَ إبنته من يحيى بن زيد بن علي بن الحسين (عليهما السلام) فقال له يوسف : ائتني بابنتك! قال: وما تصنع بها جارية عاتق [٥١] في البيت ؟ قال: أقسم لتأتيني بها أو لأضربنَّ عنقك، وكان قد كتب إلى هشام يصف طاعته، فأبى أن يأتيه بابنته فضرب عنقه، وأمر العريف أن يأتيه بابنة عبد الله بن يعقوب فأبى فأمر به فدُقَّت يده ورجله.

قال البلاذري: ولما فرغ يوسف من أمر زيد صعد منبر الكوفة فشتم أهلها وقال: يا أهل المِدْرَة الخبيثة ... لقد هممتُ أن أخرب بلدكم وأن أحربكم بأموالكم ... إنكم أهل بغي وخلاف، ولقد سألت أمير المؤمنين أن يأذن لي فيكم ولو

(٥٠). سعد بن جنادة صحابي من أهل الطائف سكن الكوفة وهو من شيعة علي عليه السلام ، وولد عطية في عهد علي عليه السلام وهو الذي سماه بهذا الاسم.

(٥١). العاتق : الجارية أول ما أدركت .

فعل لقتلت مقاتلتكم وسبيت نساءكم ، إن يحيى بن زيد [٥٢] ليتنقل في حجال نسائكم كما كان أبوه يفعل، وما فيكم مطيع إلا حكيم بن شريك المحاربي، والله لو ظفرت بيحياكم لعرقت [٥٣] خصييه كما عرقت خصيتي أبيه [٥٤].

(٥٢). ترجم البلاذري ليحيى بن زيد وحركته ومقتله في الجوزجان في ج٣/٤٥٣-٤٥٨

(٥٣). عرق خصييه: كناية عن القتل.

(٥٤). انساب الأشراف ج٣ ٤٤٧-٤٥٠ .

محنة العراقيين أيام العباسيين

سقطت دولة بني أمية على يد العباسيين، وأغتنم الإمام الصادق عليه السلام فرصة انشغال أبي العباس السفاح بملاحقة فلول بني أمية وتأسيس الدولة الجديدة، فنشر روايات كتاب علي عليه السلام في السنة النبوية، ونشر أخبار سيرته في الكوفة، وتربى على يده آلاف العلماء، كان منهم أربعمائة فقيه عرفت رسائلهم في الفقه بالأصول الأربعمائة كلها ألفت قبل كتاب الموطأ لمالك مالك بن أنس الذي يعد أقدم كتب أهل السنة في الحديث ألّفه بعد وفاة الإمام الصادق عليه السلام.

كان هوى الكوفيين سياسياً مع الثائرين الحسنيين امتداداً لعلاقتهم مع زيد رحمه الله، أما في الفقه فهم اتباع الصادق عليه السلام.

ولما قتل محمد وأخوه إبراهيم إبنا عبد الله بن الحسن بن الحسن المثنى بعد فشل ثورتيهما، خاطب المنصور أهل الكوفة قائلا لهم: (يا أهل الكوفة عليكم لعنة الله وعلى بلد أنتم فيه ... لَلعجب لبني أمية وصبرهم عليكم، كيف لم يقتلوا مقاتلتكم ويسبوا ذراريكم، ويخربوا منازلكم. أما والله يا أهل المَدَرَة الخبيثة لئن بقيت لكم لأ ذلنكم).

وفي الحوار الذي دار بين أبي جعفر المنصور، ومالك بن انس حين عرض المنصور عليه أن يجعله مرجعاً فقهياً للدولة آنذاك في قبال الإمام الصادق عليه السلام الذي انتشر أمره وعظمت مرجعيته:

قال مالك: فقلت له: يا أمير المؤمنين ولأهل العراق قولاً تعدَّوْا فيه طورَهم!

فقال : أما أهل العراق فلست أقبل منهم صرفاً ولا عدلاً، وإنما العلم علم أهل المدينة فضع للناس العلم.

وفي رواية اخرى قال مالك فقلت له: ان أهل العراق لا يرتضون عِلمَنا.

فقال أبو جعفر: يضرب عليه عامَّتُهم بالسيف، وتقطع عليه ظهورهم بالسياط.

وقد رسم المنصور خطوط السياسة الإعلامية لدولته بشأن الإمام الصادق عليه السلام وشيعته، وفي ضوئها وضعت الأخبار الموضوعة بأساليب مختلفة، لتشويه سيرة الكوفة والكوفيين أيام علي والحسن والحسين عليهم السلام، ونسبت كلمات ابن الزبير والحجاج في ذم الكوفيين إلى علي عليه السلام ونسج على منوالها، وبعضها وضع على

لسان الحسن والحسين، ثم حَمَّلت هذه السياسة الكوفيين مسؤولية قتل الحسين عليه السلام ، ونسبت إليهم الندم وتسمية أنفسهم بالتوابين، ثم جعلت هذه السياسة أيضا التشيع لعلي عليه السلام والقول بالوصية المشابهة لوصية موسى لهارون، أو وصية موسى ليوشع من ابتكارعبد الله بن سبأ [٥٥].

وقد نظم ابن المعتز العباسي سياسة آبائه هذه في أرجوزة ضمنها ديوانه جاء فيها:

واستمع الآن حديث الكوفة ... مدينة بعينها معروفة
كثيرةُ الأديان والأئمة ... وهمُّها تشتيتُ أمر الامة
مصنوعةٌ بكفر بَخت نَصَّر ... وكفر نمرود إمامِ الكفَّر
وعشَّش الشَّرُّ بها وفرَّخا ... ثم بنى بأرضها ورسَّخا
وغرق العالم من تنورها ... جزاء شرٍّ كان من شرورها
وهربت سفينة الطوفانِ ... منها إلى الجوديِّ والأركانِ
وهم بنوا للجور صرحا محكما ... فاتخذوا إلى السماء سلَّما
ولم يزل سكانها فُجّارا ... مستبصرا في الشرك أو سحارا
تفرقوا وبُلبِلوا بِلبالا ... وبدَّلوا من بعد حال حالا [٥٦]
وهم رموا في البئر إبراهيما ... لما رأوا أصنامهم رميما
واخذوا وقتلوا عليا ... العادل ، البَرَّ ، التقي الزكيا
وقتلوا الحسين ، بعد ذاكا ... فأهلكوا أنفسهم إهلاكا
وجحدوا كتابهم إليهِ ... وحرَّفوا قرآنهم عليهِ
ثم بكوا من بعده ، وناحوا ... جهلا ، كذاك يفعل التمساح
فقد بقوا في دينهم حيارى ... فلا يهودٌ همْ ولا نصارى
والمسلمون منهمُ براءُ [٥٧] ... رافضةٌ ودينهم هباءُ
فبعضهم قد جَحَدَ الرسولا ... وغلَّطوا في فعله جبريلا[٥٨]

* * * *

(٥٥). يرى أستاذنا العلامة العسكري أن سيف الذي توفى بعد سنة ١٧١ أو بعد سنة ١٩١اختلق شخصية عبد الله بن سبأ لربط أصل التشيع به كان على عهد بني أمية ، ونحن نرى أن سيفاً اختلق ذلك في عهد بني العباس استجابة لخطة المنصور في تطويق التشيع بعد فشل ثورة الحسنيين ومواجهته لمدرسة الإمام الصادق عليه السلام

(٥٦). بلبلوا: تفرقوا، وتبددوا

(٥٧). روى القاضي عياض الحوار الذي دار بين أبي جعفر المنصور ومالك بن أنس حيث عرض عليه أن يجعله مرجعاً فقهياً للدولة انذاك. قال مالك: قال فقلت له: ولأهل العراق قولاً تعدُّوا فيه طورَهم (في اتباعهم لفقه الإمام الصادق عليه السلام). فقال: أما أهل العراق فلست أقبل منهم صرفاً ولا عدلا، وإنما العلم علم أهل المدينة فضع للناس العلم. وفي رواية فقلت له: إن أهل العراق لا يرضون علمَنا. فقال أبو جعفر يضرب عليه عامّتهم بالسيف وتقطع عليه ظهورهم بالسياط. انظرتفصيل ذلك في كتابنا المدخل الى دراسة مصادر التاريخ الإسلامي والسيرة النبوية ص٤٧٠.

(٥٨). وللمزيد عن هذا الموضوع يراجع بحث السياسة الإعلامية لبني العباس بعد فشل حركة الحسنيين في كتابنا المدخل الى دراسة مصادر السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي ص٤٧٥.